معالم التنمية البشرية المستدامة في ضوء السنة

دكتور

أحمد المجتبى بانقا

المقدمة

معالم التنمية البشرية الشاملة في ضوء السنة

مقدمة:

أضحت التنمية البشرية في الواقع المعاصر أولوية الأمم والشعوب لما لها من أثر في التنمية المستدامة، الشاملة والفاعلة بدورها في البناء الحضاري الراشد الذي تتوق له المجتمعات البشرية. فهذه التكنولوجية الكونية شجعت روح التنافس في النهوض بمقومات التنمية من اقتصاد، وتعليم، وصحة،....الخ. فبما أن التنمية البشرية هي العمود الأساس في بناء وتقويم الدول والحضارات. فإن السنة قد رسمت منهجا قويما في البناء الأممي وتنمية الشعوب(١). وبما أن البحث معني بتأصيلٍ تطبيقيٍّ على واقع التنمية البشرية من خلال السنة، فقد جَسَّدَت دولة رسول الله صلى الله عليه وسلم العناية بالتنمية البشرية، منهجا تطبيقياً تبناه رسول الله صلى الله عليه وسلم منذ اللحظة الأولى للدعوة الإسلامية التي اهتمت أولا بتنمية الفكر وربطه بقضايا الإيمان مما يقوي محفزاته في النهوض بدوره في إسعاد البشرية، قال تعالى: ﴿**وَمَا**

(١) قال سيد قطب: "إن المنهج الذي جاء مع محمدٍ صلى الله عليه وسلم منهجٌ يسعد البشرية كلها ويقودها إلى الكمال المقدَّر لها في هذه الحياة....كتاباً مفتوحاً للعقول في مُقْبِل الأجيال شاملاً لأصول الحياة البشرية التي لا تتبدل ...وكفل للعقل البشري حرية العمل بكفالة حقه في التفكير وبكفالة مجتمع يسمح لهذا العقل بالتفكير ثم ترك له الحرية في دائرة الأصول المنهجية التي وضعها لحياة البشر كيما تنمو وترقى وتصل إلى الكمال المقدر لحياة الناس في هذه الأرض... تلبيته لرغبة البشرية في النمو والتقدم... وقيمة هذا المنهج أنه متوازنٌ متناسقٌ لا يعذب الجسد لتسموَ الروح، ولا يهمل الروحَ ليستمتعَ الجسد، ولا يقيِّد طاقات الفرد ورغباته الفردية ليحقق مصلحة الجماعة أو الدولة، ولا يطلق للفرد نزواته وشهواته الطاغية المنحرفة لتؤذي حياة الجماعة أو تسخرها لإمتاع فردٍ أو أفراد...لقد جاء الإسلام لينادي بإنسانيةٍ واحدةٍ تذوب فيها الفوارق الجنسية والجغرافية.... ". راجع، سيد قطب إبراهيم، **في ظلال القرآن** (القاهرة: دار الشروق، ط٣٢، ٢٠٠٣م) ج٤، ص٢٤٠١.

﴿أَرْسَلْنَاكَ إِلا رَحْمَةً لِلْعَالَمِينَ(١٠٧)﴾ سورة الأنبياء، فإن الإسلام فتح المجال للتطور في شتى مناحي الحياة بحيث يكون مستداماً وشاملاً والذي يبدأ بتطور الإنسان علمياً وإيمانياً حتى يحفظ التوازن في مكتسبات التنمية وديمومتها، يقول النبي صلى الله عليه وسلم: «إن قامت الساعة وفي يد أحدكم فسيلة فان استطاع أن لا تقوم حتى يغرسها فليغرسها»[1]، ويشهد لأولوية التنمية في الإسلام أن القرآن أول نزوله كانت قضايا التنمية البشرية حاضرة في خطابه، فقد جسدت سورة العلق بدعوتها للتعلم والمعرفة، لجانب مهم في التكوين التنموي لدى الإنسان ورسمت ضوابطه ومظاهره وأهدافه وثماره، ثم جاءت مفردات السنة مؤطرة ومجسدة لأسس التنمية البشرية الشاملة المستدامة، من دعوته صلى الله عليه وسلم للنهوض بالعلم والتخصصية، والتدريب العملي، الذي مارسه الأصحاب في ضروب الحياة المختلفة، في السياسة والاقتصاد،..الخ. وتخلل كل ذلك القيم الإسلامية التي تعد من المحفزات الأساسية في مجال التنمية البشرية الشاملة. وبناءً على ذلك فإن قضايا البحث ترتسم في: التعريف مفهوم التنمية البشرية: وهو باحث في تفهيم معنى الإنسانية وفق معايير العناية بالإنسان وتهيئته لعمارة الأرض وبناء المجتمعات، وفق بعدها الإسلامي. أسس ومبادئ التنمية البشرية في ضوء الحديث النبوي الشريف: وهو مبحث تأصيلي معني بجمع ودراسة الأحاديث التي اعتنت بجانب التنمية البشرية والمتعلقة بالإنسان ككائن تحمل أمانة الدين وخلافة الله في الأرض وانبنت على ذلك مسؤولية دينية اجتماعية تتطلب منه الإدراك الكامل لمعنى النهوض والتمدن وفق منهج الله تعالى وعلى ذلك فإن الحديث الشريف وضع العديد من الأسس المساعدة في تأسيس تنمية بشرية فاعلة ومن أهمها: التعليم والمعرفة، التخصصية، الولاء، المثابرة، الأخوة،

---

(١) البخاري، محمد بن إسماعيل أبو عبد الله، **الأدب المفرد**، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، الأحاديث مذيلة بأحكام الألباني عليها (بيروت:دار البشائر الإسلامية، ط٣، ١٤٠٩هـ - ١٩٨٩م) ص١٦٨، حديث رقم٤٧٩، صححه الألباني.

التسامح، والغيرة،....الخ. أهداف ومعالم التنمية البشرية: وهو مبحث تطبيقي معني بالاعتبار بأول دولة في حضارة الإسلام وأركان بنائها التي امتثلت تعظيم شعائر الدين: كبناء المسجد بمثابة منارة إسلامية تغذي روح الجماعة وتعمق معاني التفاني والتضحية في سبيل الفوز برضا الله تعالى، وسياسة الناس وفق منهجه سبحانه وتعالى. ومن ثم أسس الإخاء بين المسلمين وتوجيه مشاعرهم واهتماماتهم بما يفيد وحدة الأمة وإبراز قواعد الإسلام كنموذج في هداية البشرية وهو أكبر معين في تبليغ دعوة الله تعالى. ومن ثم دستور الدولة العادل وفق أسس المواطنة والإصلاح المجتمعي(١)

---

(١) أنبنى دين الإسلام على مبدأ المساواة الممزوجة بالسماحة ونبذ العنف.. قال تعالى: ﴿**ادْعُ إِلَى سَبِيْلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَادِلْهُمْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنْ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنْ ضَلَّ عَنْ سَبِيْلِهِ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ(١٢٥)**﴾ النحل، أمر الله تعالى فيها بامتثال السماحة في تقديم الدعوة الإسلامية. وهذه التوجيهات القرآنية الداعية التزام مبدأ السماحة ترجم النبي صلى الله عليه وسلم أسمى معانيها مع كل الأمم والشعوب مسلمها وغير مسلمها من ملل أهل الكتاب والمشركين والمنافقين. حتى مدحه الله تعالى بقوله: ﴿**وَإِنَّكَ لَعَلَى خُلُقٍ عَظِيْمٍ(٤)**﴾ القلم، وقال صلى الله عليه وسلم: "إنما بعثت لأتمم مكارم الأخلاق" أخرجه، البيهقي، أحمد بن الحسين بن علي، **السنن الكبرى، تحقيق: محمد عبد القادر عطا** (لبنان: بيروت: دار الكتب العلمية، ط٣، ١٤٢٤هـ-٢٠٠٣م) ج١٠، ص٣٢٣ - أكرم صلى الله عليه وسلم وفد نجران من النصارى حيث صلوا في مسجده، ولم يعنف عليهم ولم يمنعهم من ذلك. وهذا أحد رهبانهم – ميشو- يشهد بذلك في قوله: "من المؤسف ألا تقتبس الشعوب النصرانية من المسلمين التسامح الذي هو آية الإحسان بين الأمم، واحترام عقائد الآخرين، وعدم فرض أي معتقد عليهم بالقوة"، وتقول الدكتورة زيغريد هونكة: "ولعل أهم انتصارات العرب هو ما فوجئت به الشعوب من سماحتهم حتى إن الملك الفارسي(كيروس) قال: إن هؤلاء المنتصرين لا يأتون مخربين، فما يدعيه بعضهم من اتهامهم بالتعصب ما هو إلا أسطورة من نسج الخيال تكذبها آلاف الأدلة"- انظر: الوقفي، إبراهيم أحمد، **السماحة في الإسلام والمسيحية** (القاهرة: دار الفكر العربي، د.ت) ص٦٤. وهذا ما كان عليه الرسول صلى الله عليه وسلم وأصحابه من الرحمة والسماحة والعفو عن المسيء، واللين والتودد. وأنصف الإسلام المسيحية حيث وصف أتباع عيسى عليه السلام بها: ﴿**ثُمَّ قَفَّيْنَا عَلَى آثَارِهِمْ**

أبرز أهداف الدراسة

- التقعيد لمفهوم التنمية البشرية في الإسلام، وأوجه تطبيقاتها المختلفة في الأفراد والمجتمعات والمؤسسات.

- استشعار واقع الأمة المسلمة من التنمية البشرية المعاصرة، الدال على قصر فكر منسوبيها واستحضار أسس الجاهلية البغيضة التي لوثت أفكار الأمم والشعوب المسلمة وأخذ كل مِنَّا فيها بنصيب قل أو كثر. مع التذكير بسنة الله تعالى، قال الله تعالى: ﴿**وَإِنْ تَتَوَلَّوْا يَسْتَبْدِلْ قَوْمًا غَيْرَكُمْ ثُمَّ لا يَكُونُوا أَمْثَالَكُمْ(٣٨)**﴾ محمد.

- بيان أوجه تكامل التنمية البشرية من منظور الإسلام، في جانبي الروح والجسد، التي تستمد من فطرية الإنسان. وتهدف لتحقيق السعادة والرفاهية.

- مدارسة المعالم التنموية في صدر الإسلام من واقع معالجتها للقضايا المتعددة والمتنوعة وكيفية تنميتها، إن كانت قضايا اجتماعية أو سياسية أو اقتصادية أو دينية، وهي معالم منبثقة من ثوابت القيم في الإسلام كالعدالة والرحمة والأخوة،...الخ.

- التقعيد لأهداف التنمية البشرية في الحديث الشريف، والتي من أهمها تفعيل مبدأ القدوة في السلوك، تنمية وإدارة الفرص والتحديات.

- استظهار حاجة إرث الخلافة للتنمية البشرية للنهوض بأمانة التكليف، التي ربى أصحابه صلى الله عليه وسلم في سبيلها على تحمل الرسالة وتبليغها والصبر عليها..الخ. فتفانوا في بناء أرقى حضارة علمها التاريخ في التعريف بدين الله تعالى، واحترام حقوق الأقليات غير المسلمة والإحسان إليهم وتقديم نموذج إسلامي رفيع.

بِرُسُلِنَا وَقَفَّيْنَا بِعِيْسَى ابْنُ مَرْيَمَ وَءَاتَيْنَهُ الْإِنْجِيْلَ وَجَعَلْنَا فِي قُلُوبِ الَّذِيْنَ اْتَبَعُوهُ رَأْفَةً وَرَحْمَةً وَرَهْبَانِيَّةً اْبْتَدَعُوهَا مَا كَتَبْنَاهَا عَلَيْهِمُ الَّا اْبْتِغَاء رِضْوَانِ اللهِ ...(٢٧)﴾ الحديد.

المبحث الأول: مفهوم التنمية البشرية:

التنمية البشرية مصطلح هادف للرقي بالمجتمع من حيث العلم والمعرفة، لتحقيق عمارة الأرض، ببسط حرية الفكر، وتوسيع مفهوم التعايش، والاستفادة من الاختلافات المظهرية في اللون، ومستوى المعاش، واختلاف الألسن، والأعراق. لتحقيق التكريم الإلهي الذي حبى به الإنسان، قال تعالى: ﴿**وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ وَحَمَلْنَاهُمْ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَرَزَقْنَاهُمْ مِنَ الطَّيِّبَاتِ وَفَضَّلْنَاهُمْ عَلَى كَثِيرٍ مِمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلا (٧٠)**﴾ الإسراء. ومن ثم إبراز الغاية من اختلاف الخليقة، قال تعالى: ﴿**وَمِنْ آيَاتِهِ خَلْقُ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ وَاخْتِلافُ أَلْسِنَتِكُمْ وَأَلْوَانِكُمْ إِنَّ فِي ذَلِكَ لآيَاتٍ لِلْعَالِمِينَ (٢٢)**﴾ الروم. وهي من أفضل سبل الدعوة للتكافل الاجتماعي، الذي تتحقق من خلاله التنمية البشرية الشاملة، كقوله: ﴿**نَحْنُ قَسَمْنَا بَيْنَهُمْ مَعِيشَتَهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَرَفَعْنَا بَعْضَهُمْ فَوْقَ بَعْضٍ دَرَجَاتٍ لِيَتَّخِذَ بَعْضُهُمْ بَعْضًا سُخْرِيًّا (٣٢)**﴾ الزخرف.

تتمحور أبرز معاني مصطلحات التنمية في:

الزيادة: وهي من نَمَى يَنْمِي نَمْياً ونُمِيّاً ونَماءَ زاد وكثر. في الحديث أَن رجلاً أَراد الخروج إِلى تَبُوكَ فقالت له أُمه أَو امرأَته كيف بالوَدِيِّ؟ فقال: «الغَزْوُ أَنْمَى للوَدِيِّ»[1] أَي يُنَمِّيه الله للغازي ويُحْسن خِلافته عليه.

---

(١) ابن الأثير، أبو السعادات المبارك بن محمد الجزري، النهاية في غريب الحديث والأثر، تحقيق: طاهر أحمد الزاوى، محمود محمد الطناحي (بيروت: المكتبة العلمية، ١٣٩٩هـ-١٩٧٩م) ج١، ص٩٦٩.

الإصلاح والإفساد: أي التبليغ على وجهي الإصلاح وطلب الخير، أو الإفساد والنميمة. وهذه بناء على شكل وتركيب الجملة التي تحوي كلمة التنمية. قال صلى الله عليه وسلم: «ليس بالكاذب مَن أَصلح بين الناس، فقال خيراً، ونَمَى خيراً»(١)، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «ألا أخبركم بخياركم قالوا: بلى، قال: فخياركم الذين إذا رءوا ذكر الله تعالى، ألا أخبركم بشراركم، قالوا: بلى، قال: فشراركم المفسدون بين الأحبة، المشاءون بالنميمة الباغون البرآء العنت »(٢)

وأنشد النابغة: فعَدَّ عمَّا تَرَى إذْ لا ارْتِجاعَ له وانْمِ القُتُودَ على عَيرانةٍ أُجُدِ(٣).

العلو والارتفاع: تطلق على معنى الارتفاع: فكلُّ ارتفاعٍ انتماءٌ، يقال: انْتَمَى فلان فوق الوِسادة، ونَمَيتُ فلاناً في النسب أَي رفعته فانْتَمَي في نسبه.

ومنه قول الجعدِي: إذا انْتَمَيا فوقَ الفِراشِ عَلاهُما تَضَوُّعُ رَيّا رِيحِ مِسْكٍ وعَنْبرِ(٤)

وقول أَبو ذؤيب: تنَمَّى بها اليَعْسُوبُ حتى أَقَرَّها إِلى مَأْلَفٍ رَحْبِ المَباءَةِ عاسِلِ

السمنة: ومنها نمى الإِنسان سمن، والنامِيةُ من الإِبل السَّمِينةُ، يقال: نَمَتِ الناقةُ إذا سَمِنَتْ، وفي حديث معاوية لَبِعْتُ الفانِيةَ، واشتريت النامِية، أَي لبِعْتُ الهَرمة من الإِبل، واشتريت الفَتِيَّة منها، وناقة نامِيةٌ سمينةٌ(١).

---

(١) أبو داود، سليمان بن الأشعث، **سنن أبي داود**، تحقيق: محمد محيي الدين عبد الحميد، (دار الفكر، د.ت) ج٢، ص٦٩٨.

(٢) ابن حنبل، أحمد بن محمد، **مسند الإمام أحمد**، تحقيق: شعيب الأراؤوط وآخرون (لبنان: مؤسسة الرسالة، ط٢، ١٤٢٠هـ، ١٩٩٩م)

(٣) أبي القاسم علي بن جعفر السعدي، **كتاب الأفعال** (بيروت: عالم الكتب، ط١، ١٩٨٣م)ج٣، ص٢٨٩.

(٤) الزبيدي، محمّد بن محمّد بن عبد الرزّاق الحسيني، **تاج العروس من جواهر القاموس**، تحقيق مجموعة من المحققين (الناشر دار الهداية

خلق الله: ومنها النَّامِيةُ خَلْقُ الله تعالىٰ، وفي حديث عمر رضي الله عنه: «لا تُمَثِّلوا بنامِيةِ الله»[٢] أَي بخَلْق الله لأَنه يَنْمي من نَمىٰ الشيءُ إِذا زاد وارتفع.

النجاة: وقال للنَّامي الناجي.

قال التَّغْلَبيّ: وقافِيةٍ كأَنَّ السُّمَّ فيها وليسَ سَلِيمُها أَبداً بنامي

صَرَفْتُ بها لِسانَ القَوْمِ عَنْكُم فخَرَّتْ للسَّنابك والحَوامي[٣]

البشر:

أما مصطلح البَشَر فهو بمعنىٰ به بني آدم. وهو من أشهر المصطلحات، وأوسعها انتشارا، وأبسطها تركيبا، وهي لفظة تشاطر غيرها من الألفاظ في معناها كالإنسان، وبني آدم،..،. غير أن ما يميزها عن غيرها اشتراكها مع ألفاظ أخرىٰ في معانٍ لها مردودات حميدة في مسامع الإنسان، ودواخله، يكفي الإشارة لأبرزها: فالْبِشْر وهو أول ما يظهر من السرور، والبشارة وهي أول ما يصل من الخبر السار[٤]، وحسن الهيئة لاشتقاقها من البشارة يقال رجل بشير وامرأة بشيرة إذا كان حسن الهيئة فسمي الناس بشرا لأنهم أحسن الحيوان هيئة والظهور، وسموا بشرا لظهور شأنهم، ومنه قيل لظاهر الجلد بشرة. وتباشير الصبح: أوائله وأوائل كل

---

(١) ابن منظور، محمد بن مكرم الأفريقي المصري، لسان العرب (بيروت: دار صادر، ط١، د.ت) ج ١٥، ص ٣٤١

(٢) النهاية في غريب الحديث والأثر، ج٤، ص٦١٦.

(٣) لسان العرب، ج١٥، ص٣٤١.

(٤) المناوي، محمد عبد الرؤوف، **التوقيف على مهمات التعاريف**، تحقيق: محمد رضوان الداية (بيروت، دمشق: دار الفكر المعاصر، دار الفكر، ط١، ١٤١٠هـ) ج١، ص١٣١

أمر. واستبشر القوم: تباشروا. والمبشرات الرياح تهب بالسحاب والغيث، وكذلك الرؤية الصالحة كما في الحديث الشريف «ذهبت النبوات وبقية المبشرات»(١). البشر حسن الخلق(٢).

ولعل أبلغ معانيها تتجلى في كونه بشرا سويا في سلوكه، وفكره، وفطرته التي إن لم يحد عنها لحري به أن يحقق مفهوم الخلافة التي ما هي إلا نتاج تنمية بشرية شاملة فانظر لعمرك كيف يكون حسن النسق بين اللفظ ومدلوله اللغوي.

المعنى التركيبي للتنمية البشرية:

التنمية البشرية هي مجموعة من المعطيات والأوضاع الناتجة من تفاعل عوامل ومدخلات بشرية وبيئية متعددة ومتنوعة من أجل الوصول إلى تأثيرات وتشكيلات معينة في حياة الإنسان وسياق المجتمع(٣).

---

(١) محمد بن حبان، **صحيح ابن حبان**، تحقيق: شعيب الأرنؤوط (بيروت: مؤسسة الرسالة، ط٢، ١٤١٤-١٩٩٣م) ج١٣، ص٤١١.

(٢) أبي الحسين أحمد بن فارِس بن زكَرِيّا، **مقاييس اللغة**، تحقيق: عبد السَّلام محمد هَارُون (اتحاد الكتاب العرب: ١٤٢٣ هـ- ٢٠٠٢م) ج١، ٢٣٧ - محمد بن أبي بكر الرازي، **مختار الصحاح**، تحقيق: محمود خاطر (بيروت: الطبعة طبعة جديدة، ١٤١٥ – ١٩٩٥م)ج١، ص٢٣٧.

(٣) نقلا عن مقالات في التنمية البشرية على الرابط التالي: http://www.hrdiscussion.com/hr16886.html#ixzz1E7dXfBWd، مقال بعنوان: ظهور مصطلح التنمية البشرية، للكاتب: Ahmed Shaheen، بيوم: 2010/08/30. أخذ هذا المقطع بتاريخ، 2016/7/29.

محتويات التنمية البشرية: وهو باحث في تفهيم معنى الإنسانية وفق معايير العناية بالإنسان، وتهيئته لعمارة الأرض، وبناء المجتمعات. فجاءت بيناتها متكاملة فكريا وبدنيا وفق بعدها الإسلامي والاجتماعي.

- تحديد مفهوم التنمية البشرية وتحليل مكوناتها وأبعادها، المتمثلة في إشباع حاجات الإنسان، ومن ثم التنمية الاجتماعية في السلوك الفردي، والاقتصادية المفضية لرفع مستوى المعيشة وتحسين نوعية الحياة.

- إسناد قيمة الإنسان لثوابت الإسلام ومنطلقاته وفق منهج النبي صلى الله عليه وسلم الفاعل في تفهيم معنى الكرامة الإنسانية المؤسسة للعدالة المجتمعية، التي هي من صميم عوامل عالمية الإسلام وديمومته ورحمته لكافة أطياف البشر مسلمهم وكافرهم، قال تعالى: ﴿**وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِلْعَالَمِينَ**(١٠٧)﴾ الأنبياء.

- تفعيل عوامل ومدخلات وسياقات التنمية والتي من أبرزها: عوامل الإنتاج، والسياسة الاقتصادية والمالية، مقومات التنظيم السياسي ومجالاته، علاقات التركيب المجتمعي بين مختلف شرائحه، مصادر السلطة والثروة ومعايير تملكها وتوزيعها، القيم الثقافية المرتبطة بالفكر الديني والاقتصادي، القيم الحافزة للعمل والإنماء والهوية والوعي بضرورة التطوير والتجديد أداةً للتقدم والتنمية.

- إبراز أبعاد التنمية: والمتمثلة في النهوض بمستوى النمو الإنساني في مختلف مراحل حياته، وتفجير قدراته وطاقاته البدنية، والعقلية، والنفسية، والاجتماعية، والمهارية، والروحانية. استثمارا للموارد والمدخلات والأنشطة الاقتصادية التي تولد الثروة والإنتاج لتنمية القدرات

البشرية من خلا الاهتمام بتطوير الهياكل والبنية المؤسسية التي تتيح المشاركة والانتفاع بمختلف القدرات لدىٰ كل الناس(١).

- تحقق السعادة والرفاهية(٢) من خلال بناء الذات البشرية في جوانبها الإيمانية، والمادية، والصحية، والفكرية، والأسرية، والمهنية، وهو بدوره فاعل في تحقيق النجاح والاستقرار والسعادة ويجمع ذلك حديث النجاح في تحقق المسؤولية الشاملة بقوله صلىٰ الله عليه وسلم:

---

(١) اعتنىٰ الإسلام ببناء الإنسان باعتباره النواة الأولىٰ في بناء الدول: "الدولة أداة للتعبير عن واقع يعيشه شعب ما من خلال مؤسسات. وتعتبر الدولة قمة الوعي المعرفي، والأخلاقي، والاجتماعي، والسياسي السائد في المجتمع. لذا فالدولة تمثيل للعلاقات المعرفية والاجتماعية والاقتصادية . فإن كانت هذه العلاقات متخلفة كانت الدولة متخلفة، وإن كانت متقدمة فالدولة متقدمة، وهذه العلاقات هي العاملة في تشكيل الدولة، لذا فإن هنالك عوامل تأثير وتأثر بين المؤسسات والمجتمع . فكلما كان تأثير البنية التحتية للمجتمع علىٰ البنية الفوقية كبيرا كانت الدولة أكثر حرية وعدلا ورفاهية، وكلما كان تأثير البنية الفوقية علىٰ البنية التحتية أكبر كانت الدولة أكثر ديكتاتورية وتسلطاً" انظر: شحرور، د.محمد، **دراسات إسلامية معاصرة في الدولة والمجتمع** (دمشق: الأهالي للطباعة والنشر والتوزيع، ١٩٩٤م، ط١)، ص١٨٥.

(٢) رَفاهَةٍ من العيش أَي سَعَة، ورَفَّهَ عنه: كان في ضِيقٍ فَنَفَّسَ عنه، العرب تقول: إِذا سقَطَتِ الطَّرْفَةُ قَلَّتْ في الأَرْضِ الرَّفَهَةُ؛ قال أَبو الهيثم: الرَّفَهةُ الرَّحْمة، وفي حديث عائشة: فلما رُفِّهَ عنه أَي أُزِيلَ وأُزيحَ عنه الضِّيقُ والتعبُ؛ ومنه حديث جابر: أَراد أَن يُرَفِّه عنه أَي يُنَفِّس ويُخَفِّفَ" انظر: ابن منظور، لسان العرب، ج١٣، ص٤٩٤.

«كلكم راع ومسئول عن رعيته، فالإمام راع ومسئول عن رعيته، والرجل في أهله راع وهو مسئول عن رعيته، والمرأة في بيت زوجها راعية وهي مسئولة عن رعيتها، والخادم في مال سيده راع وهو مسئول عن رعيته». قال: فسمعت هؤلاء من النبي صلى الله عليه وسلم وأحسب النبي صلى الله عليه وسلم قال: «والرجل في مال أبيه راع ومسئول عن رعيته، فكلكم راع، وكلكم مسئول عن رعيته»(١)

أسس ومبادئ التنمية البشرية في ضوء الحديث الشريف:

اعتنى الحديث بالإنسان ككائن بشري تحمل أمانة التكليف، وأُنيطت به خلافة الله في الأرض، وانبنت على ذلك مسؤولية دينية، ومجتمعية تتطلب منه الإدراك الكامل لمعنى النهوض والتمدن وفق منهج الله تعالى في إصلاح البشرية وتنميتها. والتي أوكل مهمة بيانها وتفعيلها لنبي الأمة صلى الله عليه وسلم، قال تعالى: ﴿وَأَنزَلْنَا إِلَيْكَ الذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نزلَ إِلَيْهِمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ (٤٤)﴾ النحل. وانبنت وفق ذلك أسس فاعلة في بناء تنمية بشرية يمكن استنباطها وتفصيلها من خلال الأحاديث

(١) البخاري، محمد بن إسماعيل، **صحيح البخاري**، تحقيق: د. مصطفى ديب البغا أستاذ الحديث وعلومه في كلية الشريعة – جامعة دمشق (بيروت: دار ابن كثير، اليمامة، ط٣، ١٤٠٧ – ١٩٨٧) ج٢، ص٩٠٢، حديث رقم٢٤١٩.

الشريفة التي اعتنت بالإنسان وسبل تطويره من خلال: العلم والمعرفة، التخصصية، الولاء والغيرة، المثابرة، الأخوة، والتسامح،....الخ. وهذه أبرز أسس التنمية لامتثالها قواعد شامخة ذات مفهوم عميق يتماشى مع الفطرة السليمة والواقع الإنساني الذي دعا إلى حسن المعشر، عَنْ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: « كَانَ رَجُلٌ سَمْحًا بَائِعًا، وَمُبْتَاعًا، وَقَاضِيًا، وَمُقْتَضِيًا، فَدَخَلَ الْجَنَّةَ»(١) وبذل العطاء والصلاح والإصلاح المجتمعي، قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ كَتَبْنَا فِي الزَّبُورِ مِنْ بَعْدِ الذِّكْرِ أَنَّ الْأَرْضَ يَرِثُهَا عِبَادِيَ الصَّالِحُونَ(١٠٥)إِنَّ فِي هَذَا لَبَلَاغًا لِقَوْمٍ عَابِدِينَ(١٠٦)﴾(٢) وقال تعالى: ﴿الَّذِينَ إِنْ مَكَّنَّاهُمْ فِي الأَرْضِ

(١) مسند الإمام أحمد، ج١، ص٤٧٣

(٢) لقد استخلف الله آدم في الأرض لعمارتها وإصلاحها، وتنميتها بالاستفادة من الطاقات والكنوز، والثروات الظاهرة والمخبوءة فيها، لتتحقق مفاهيم الوراثة التي وعد الله تعالى بها الصالحين، ممن جمع بين الإيمان والعمل الصالح. قال تعالى: ﴿**وَلَقَدْ كَتَبْنَا فِي الزَّبُورِ مِنْ بَعْدِ الذِّكْرِ أَنَّ الأَرْضَ يَرِثُهَا عِبَادِيَ الصَّالِحُونَ(١٠٥)**﴾ **الأنبياء**. إن المنهج الذي جاء مع محمد صلى الله عليه وسلم منهج يسعد البشرية كلها ويقودها إلى الكمال المقدر لها في هذه الحياة . وتمثل هذه الرسالة كتاباً مفتوحاً للعقول في مقبل الأجيال، شاملاً لأصول الحياة البشرية التي لا تتبدل، مستعداً لتلبية الحاجات المتجددة التي يعلمها خالق البشر، وهو أعلم

أَقَامُوا الصَّلاةَ وَآتَوُا الزَّكَاةَ وَأَمَرُوا بِالْمَعْرُوفِ وَنَهَوْا عَنِ الْمُنْكَرِ(٤١)﴾ الحج، ويمكن الوقوف على مقتطفات من النماذج المؤسسة للتنمية البشرية في منظور الإسلام.

- **العلم والمعرفة**: تعد مباحث العلم والمعرفة كألفاظ اصطلاحية عامل في مجال الحياة البشرية، مصطلح استيعابي يُعْنَىٰ بأوجه التطور والرقي الأممي. وأصبح يُرْبَطُ تقدم الأمة وتأخرها بهذا المصطلح. فالمعرفة تعني الانفتاح العلمي الذي هو سبب مباشر في إنماء التقدم الاجتماعي، والسياسي، والاقتصادي. لقد نبه له الخطاب القرآني في أول ما نزل من سوره، قال تعالىٰ: ﴿اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ(١) خَلَقَ الإِنسَانَ مِنْ عَلَقٍ(٢) اقْرَأْ وَرَبُّكَ الأَكْرَمُ(٣) الَّذِي عَلَّمَ بِالْقَلَمِ(٤) عَلَّمَ الإِنسَانَ مَا لَمْ يَعْلَمْ(٥)﴾ سورة العلق، وترجمه النبي صلىٰ الله عليه وسلم، وطبقه النبي صلىٰ الله عليه وسلم من خلال دعوته لأصحابه في كافة فترة الرسالة، فهو الذي علمهم مبادئ التوحيد والأخلاق، وهو الذي عرفهم بالحقوق والواجبات، والحلال والحرام، ودعا لمن تعلم منه وبلغ ما تعلمه، بالنضارة التي تعد أفضل زينة في وجوه المؤمنين في سبيل

بمن خلق، وهو اللطيف الخبير. ولقد وضع هذا الكتاب أصول المنهج الدائم لحياة إنسانية متجددة. وترك للبشرية أن تستنبط الأحكام الجزئية التي تحتاج إليها ارتباطات حياتها النامية المتجددة، واستنباط وسائل تنفيذها كذلك بحسب ظروف الحياة وملابساتها، دون اصطدام بأصول المنهج الدائم .وكفل للعقل البشري حرية العمل، بكفالة حقه في التفكير، وبكفالة مجتمع يسمح لهذا العقل بالتفكير. ثم ترك له الحرية في دائرة الأصول المنهجية التي وضعها لحياة البشر، كيما تنمو وترقىٰ وتصل إلىٰ الكمال المقدر لحياة الناس في هذه الأرض- **انظر**: ابن تيمية: أحمد بن عبد الحليم الحراني، **منهاج السنة النبوية**، تحقيق: د. محمد رشاد سالم (مؤسسة قرطبة، ط١، ١٤٠٦هـ) ج٤، ص٢٢٣.

تحقيق المعرفة. قال صلى الله عليه وسلم: «**نضر الله امرءا سمع منا شيئا فبلغه، كما سمعه فرب مبلغ أوعى من سامع**»(١).

جعل صلى الله عليه وسلم العلم والمعرفة من أولويات العمل الإسلامي الفاعل في تنمية البشرية، والمعين لها على تعمير الأرض، وفق منهج الإسلام قال صلى الله عليه وسلم: «**من سلك طريقا يبتغي فيه علما، سهل الله له طريقا إلى الجنة، وإن الملائكة لتضع أجنحتها لطالب العلم رضا بما يصنع، وإن العالم ليستغفر له من في السموات ومن في الأرض، حتى الحيتان في الماء، وفضل العالم على العابد كفضل القمر على سائر الكواكب، وإن العلماء ورثة الأنبياء، وإن الأنبياء لم يورثوا دينارا ولا درهما، وإنما ورثوا العلم، فمن أخذه أخذ بحظ وافر**»(٢) وقال صلى الله عليه وسلم: «**إن الله لا يقبض العلم انتزاعا ينتزعه من الناس، ولكن يقبض العلم بقبض العلماء، حتى إذا لم يبق عالما اتخذ الناس رؤوسا جهالا، فسئلوا فأفتوا بغير علم، فضلوا وأضلوا**»(٣)، عن أبي بن كعب قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «يا أبا المنذر، أتدري أي آية من كتاب الله معك أعظم؟ قال: قلت: الله ورسوله أعلم. قال: يا أبا المنذر، أتدري أي

(١) الترمذي: محمد بن عيسى أبو عيسى، **سنن الترمذي**، تحقيق: بشار عواد معروف (بيروت: دار الغرب الإسلامي، ١٩٩٨م) كتاب: العلم عن رسول الله صلى الله عليه وسلم، باب: ما جاء في الحث على تبليغ السماع، ج٤، ص٣٣١. قال الترمذي حسن صحيح.

(٢) **سنن أبي داود، ج٢، ص٣٤١**

(٣) **صحيح البخاري**،ج١، ص٣٢.

آية من كتاب الله معك أعظم؟ قال: قلت: "اللهُ لاَ إِلَهَ إِلاَّ هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ، قال: فضرب في صدري، وقال: وَاللهِّ لِيَهْنِكَ الْعِلْمُ أَبَا الْمُنْذِرِ»(١).

إذاً ما هي هذه المعرفة؟ وما معاييرها؟ وخصائصها؟ وحدودها؟... لقد أدرك الغرب ماهية المعرفة المادية ومالها من أثر في بناء الإنسان الذي هو عمود عمارة الأرض فالمعرفة عند سقراط الفضيلة، وقامت مبادئها على: الرحمة، والعدالة(٢)، والشجاعة، والعفة(٣). ويُقصد بكل هذا: خلق حالة من التوازن بين أفكار وآراء الحكام والمحكومين مما يساعد على مهمة الخضوع

(١) مسلم بن الحجاج النيسابوي، **صحيح مسلم**، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، (بيروت: دار إحياء التراث العربي، د.ت) ج١، ص٥٥٦- انظر: ابن حجر، أحمد بن علي، **الإصابة في تمييز الصحابة**، تحقيق: علي محمد البجاوي (بيروت: دار الجيل، ط١، ١٤١٢)، ج١، ص٢٧.

(٢) العدالة والإنصاف في الحكم والشهادة والاستواء في الأشياء، والوسطية، وهي بمحملها تدل على معنى الاستقامة في الدنيا والدين، روى مالك بن أنس قَالَ: «كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يبعث عبد الله بن رواحة إلى خيبر فيخرص بينه وبين يهود خيبر فجمعوا له حلياً من حلى نسائهم فقَالوا له: خذ هذا لك وخفف عنا، وتجاوز في القسم، فقَالَ عبد الله بن رواحة: يا معشر اليهود، والله إنكم لمن أبغض خلق الله إليّ، وما ذاك بحاملي على أن أحيف عليكم، أمّا ما عرضتم من الرَّشْوَة فإنها سحت، وإنا لا نأكلها. وفي رواية « وما يحملني حبي إياه وبغضي لكم على أن لا أعدل فيكم. فقَالوا: بهذا قامت السموات والأرض»، الإمام مالك، مالك بن أنس، **موطأ الإمام مالك**، تحقيق: د. تقي الدين الندوي أستاذ الحديث الشريف بجامعة الإمارات العربية المتحدة (دمشق: دار القلم، ط١، ١٤١٣هـ - ١٩٩١م) ج٣، ص٢٦٠.

(٣) العفة هي التي بموجبها تصبح النفس قادرة على التحكم بأهوائها، وهي هيئة للقوة الشهوية متوسطة بين الفجور الذي هو إفراط هذه القوة والجمود الذي هو تفريطها، والعفيف: من يباشر الأمور على وفق الشرع والمروءة، انظر: **التوقيف على مهمات التعاريف**، ص٥١٨.

للسلطة[١]. وتعريف سقراط للمعرفة يفتقر لضابط الإيمان العقدي السليم الذي يعتبر ركنا ركيناً في هيكلة المعرفة[٢] . وإذا سلمنا باختزال المعرفة في الفضيلة فإن مدلولها في طرح الإسلام مبني على الإخلاص، والتفاني، والبراءة من مآرب الشخصية، والإلمام بالفقه

---

(١) انظر: شيكوني، أنجلو: أفلاطون والفضيلة، ترجمة:د. منير سغبيني (بيروت: دار الجيل، ١٩٨٦م).

(٢) المعرفة في النظريات غير الإسلامية تعني البحث في الماديات، وسبل الوصول لكل ما هو متاح أمام البحث العلمي . لذلك شتان ما بين الفضيلة والعلم، فإن إبليس كان يعلم الكثير، واليهود علموا وما عملوا، إن المعرفة التكنولوجية غير المنضبطة أضحت تتلاعب بقانون الطبيعة – الاستنساخ، البروتين الحيواني الذي تسبب في مرض جنون البقر،..فأصبحت المعرفة كارثة حلت على بني البشر بسبب غياب الرابط الهيكلي للمعرفة وهو الإيمان بالله تعالى واهب المعرفة، قال تعالى: ﴿أَفَرَأَيْتَ مَنِ اتَّخَذَ إِلَهَهُ هَوَاهُ...(٢٣)﴾ الجاثية.

المعرفي[1]. تجلت في أول خلافة إسلامية، لما ولي أبو بكر خطب الناس قائلا: «أما بعد أيها الناس قد وليت أمركم ولست بخيركم، ولكن قد نزل القرآن، وسن النبي صلى الله عليه وسلم السنن فعلمنا، اعلموا أن أكيس الكيس التقوى، وأن أحمق الحمق الفجور، إن أقواكم عندي الضعيف حتى آخذ له بحقه، وإن أضعفكم عندي القوي حتى آخذ منه الحق، أيها الناس إنما أنا متبع ولست بمبتدع فإن أحسنت فأعينوني»[2]. هذه الخُطْبَة قد ألبست المعرفة معاني الحرية، والعدالة الاجتماعية، والتجرد في سبيل إنجاح الطرح الإسلامي. قال تعالى: ﴿**وَلَكِنْ كُونُوا رَبَّانِيِّينَ بِمَا كُنْتُمْ تُعَلِّمُونَ الْكِتَابَ وَبِمَا كُنْتُمْ تَدْرُسُونَ (٧٩)**﴾ آل عمران.

- **التخصصية**: الدعوة للتخصصية هي دعوة إسلامية مبنية على ثوابت إيمانية فاعلة في تنمية السلوك وإفادة المجتمع، ضف إلى ذلك هي فاحصة بدورها في بيان نواميس الكون وسنة الله في الخلق. لقد أراد الله تعالى لعباده التخصصية، بل كل مخلوقاته لها اختصاصات محددة انتظمت في مجملها لإسعاد البشرية التي هي أولى بإيعاء درس التخصصية الفردية المعينة في تنمية المجتمع، وهي نوع من التسخير الإلهي البشرية بعضها البض بغرض تبادل المصالح المشتركة قال تعالى:

---

(١)محمد الغزالي، تراثنا الفكري في ميزان الشرع والعقل، المعهد العالمي للفكر الإسلامي (القاهرة، دار الشروق، ط١، ١٩٩١م) ص٤٤-٤٥.

(٢)أبو الفرج، عبد الرحمن بن علي، صفوة الصفوة، تحقيق: محمد فاخوري، ود. محمد رواس قلعه جي (بيروت: دار المعرفة، ط٢، ١٩٧٩م) ج١، ص٢٦٠.

﴿أَهُمْ يَقْسِمُونَ رَحْمَةَ رَبِّكَ نَحْنُ قَسَمْنَا بَيْنَهُم مَّعِيشَتَهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَرَفَعْنَا بَعْضَهُمْ فَوْقَ بَعْضٍ دَرَجَاتٍ لِيَتَّخِذَ بَعْضُهُم بَعْضًا سُخْرِيًّا وَرَحْمَةُ رَبِّكَ خَيْرٌ مِّمَّا يَجْمَعُونَ (٣٢)﴾ سورة الزخرف. فهذا هو النبي صلى الله عليه وسلم يختار أصحابه لمهمات مختلفة حسب اختصاصاتهم: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «إذا كانوا ثلاثة فليؤمهم أحدهم وأحقهم بالإمامة أقرؤهم»(١) . وقال صلى الله عليه وسلم: «أرحم أمتي بأمتي أبو بكر، وأشدهم في أمر الله عمر، وأصدقهم حياء عثمان، وأقرؤهم لكتاب الله أُبيّ بن كعب، وأفرضهم زيد بن ثابت، وأعلمهم بالحلال والحرام معاذ بن جبل، ألا وإن لكل أمة أمينًا، وإن أمين هذه الأمة أبو عبيدة بن الجراح»(٢). وبهذه التخصصية أرسل معاذ رضي الله عنه داعيا إلى اليمن، وأبعد أبا ذر من الإمارة، عن أبي ذر قال: قلت: يا رسول الله ألا تستعملني؟ قال: فضرب بيده على منكبي، ثم قال: «يا أبا ذر إنك ضعيف، وإنها أمانة، وإنها يوم القيامة خزيٌ وندامة، إلا من أخذها بحقها، وأدى الذي عليه فيها»(٣) .

أضحت قضايا التخصص ضرورة مهمة في تجويد الأداء، وتحديد المسؤولية، وهي من نواميس الكون التي ارتضاها الله تعالى لعباده، بل قامت المعجزات في كل أمة فيما هم فيه متخصصون، فالعرب اشتهروا بالفصاحة والبيان فجاءت المعجزات البيانية في القرآن تحديا للعرب وإثباتاً لقدسية القرآن الكريم، وصدق النبوة، وكان صلى الله عليه وسلم يلتزم ذلك في حله وترحاله سلمه وحربه، وأبرز مظاهر التخصصية هي:

---

(١) **صحيح مسلم**، ج١، ص ٤٦٤.

(٢) ابن ماجه، محمد بن يزيد أبو عبد الله، **سنن ابن ماجه**، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي (بيروت: دار الفكر، د.ت) ج١، ص٥٥.

(٣) **صحيح مسلم، ج٦، ص٦.**

- تجويد الأداء فكل خبير بصنعته وتخصصه فالنجار لا يمارس الطب كما أن الطبيب ليس نجارا، لقد أدرك القرن المعاصر مدلول الخصوصية وفاعليتها في النماء.
- إدارة الوقت: فالتخصصية تسهم بشكل كبير في استثمار الوقت، وتنمية القدرات، فالمتخصص هو الذي يستطيع إنجاز مهامه في أوقاتها، ولنا عبرة في ذلك فالمحافظة على مواقيت الأشياء نوعا من التجويد لذا قال صلى الله عليه وسلم: أحب الأعمال إلى الله الصلاة لوقتها،
- تحقيق لمقاصد القرآن في قضايا التكافل العملي والمقصود به تكامل مصالح العباد قال تعالى: ﴿..لِيَتَّخِذَ بَعْضُهُم بَعْضًا سُخْرِيًّا وَرَحْمَتُ رَبِّكَ خَيْرٌ مِّمَّا يَجْمَعُونَ(٣٢)﴾[1] الزخرف.

الولاء: يعني المحبة[2] والنصرة والتناصح والقرب والإكرام والإخلاص والإصلاح والانتماء والمودة والتشبه والغيرة والنصيحة للمؤمنين وهي تعني في مجملها التكافل المعنوي والمادي في سبيل نصرة دين الإسلام وعمارة الأرض، من واقع البناء الأخوي القائم على مبادئ العقيدة السليمة. إن تحقيق تلك المفاهيم منوط به كسب الولاية الإلهية التي ربط الله تعالى تحقيقها بتحقيق معاني الولاء. لقد كان مفهوم الولاء أعظم أمرا بعد النطق بالشهادتين والاستسلام لطاعة الله تعالى. بل جعلها النبي صلى الله عليه وسلم من أولويات الدين وضرورات المجتمع.

---

(١) الزركشي، محمد بن بهادر، **البرهان في علوم القرآن**، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم (بيروت: دار المعرفة، ١٣٩١) ج١، ص١٠٧.

(٢) قال مسلم بن يسار: "ما من عملي شيء إلا وأنا أخاف أن يكون قد دخله ما يفسده إلا الحب في الله" - انظر: ابن عبد البر: يوسف بن عبد الله النمري أبو عمر، **التمهيد لما في الموطأ من المعاني والأسانيد**، تحقيق: مصطفى بن أحمد العلوي، محمد عبد الكبير البكر (المغرب: وزارة عموم الأوقاف والشؤون الإسلامية- المغرب، ١٣٨٧هـ) ج١٧، ص ٤٣٠.

وسطرها واقعا ملموسا وسلوكا يتبع فجاءت أطروحات الفكر الإسلامي في بناء أعظم حضارة تنموية شاملة على مر التاريخ. لقد أدرك النبي صلى الله عليه وسلم بنور النبوة أن نواقض البراء هي حالقة الدين ومجهضة للطرح الإسلامي الذي لطالما هاجر حاضروه في سبيل نصرته وإظهاره، فوضع صلى الله عليه وسلم أسساً فاعلةً في تنمية المجتمع. التزمت مبدأ المؤاخاة بين المهاجرين والأنصار، وصياغة الدستور الإسلامي الذي انتظم سياسة الدولة ومراعاة حقوق المسلمين وغير المسلمين(1)، وقبل ذلك بناء المسجد الذي جمع قلوب المؤمنين وألف بينهم، وبذلك اكتمل العقد الفريد فجاءت أطروحات الفكر الإسلامي نورا تهتدي به البشرية تحقيقا لقوله تعال: ﴿**وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلا رَحْمَةً لِلْعَالَمِينَ (١٠)**﴾ الأنبياء. إن ما تعانيه الأمة من واقع انحطاطي وتخلف، وتبعية مأجورة، وفقدان الذات والهوية، لهي قمة التيه الفكري النابع من فقدان السبيل، قال صلى الله عليه وسلم: «لتتبعن سنن من قبلكم شبرا بشبر وذراعا بذراع حتى لو سلكوا جحر ضب لسلكتموه. قلنا يا رسول الله اليهود والنصارى؟ قال:

(1) أخطأ من ظن أن التبرؤ من ديانة اليهود المحرفة يلزم ظلمهم ومصادرة حقوقهم، فقد قبل النبي صلى الله عليه وسلم وجودهم في المدينة، وكفل لهم حق الحياة واختيار الدين، وحق التملك، وحق العدل في المعاملة،- اختصم الأشعث بن قيس ورجل من اليهود إلى النبي صلى الله عليه وسلم في أرض باليمن، ولم يكن لعبد الله بيِّنة قضى فيها لليهودي بيمينه، انظر: صحيح البخاري، ج٢، ص٨٥١-. وحق التحاكم فيما بينهم إلى قوانين دينهم. وكان صلى الله عليه وسلم يحسن معاملة اليهود، فقد أمر الله سبحانه بالقسط والبر وحسن الخلق وأداء الأمانة مع اليهود وغيرهم ،إمتثالا لقوله تعالى: ﴿لَا يَنْهَاكُمُ اللهُ عَنِ الَّذِينَ لَمْ يُقَاتِلُوكُمْ فِي الدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُم مِّن دِيَارِكُمْ أَن تَبَرُّوهُمْ وَتُقْسِطُوا إِلَيْهِمْ...(٨)﴾ الممتحنة، فقد كا يعود مريضهم – عن أنس بن مالك رضي الله عنه: «أَنَّ غُلَامًا مِنَ اليَهُودِ كَانَ يَخْدُمُ النَّبِيَّ صَلَّى اللهُ عَلَيهِ وَسَلَّمَ فَمَرِضَ، فَأَتَاهُ النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيهِ وَسَلَّمَ يَعُودُهُ، فَقَعَدَ عِندَ رَأسِهِ، فَقَالَ: أَسلِم. فَنَظَرَ إِلَى أَبِيهِ وَهُوَ عِندَ رَأسِهِ، فَقَالَ لَه: أَطِع أَبَا القَاسِمِ صَلَّى اللهُ عَلَيهِ وَسَلَّمَ. فَأَسلَمَ فَخَرَجَ النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيهِ وَسَلَّمَ وَهُوَ يَقُولُ : «الحَمدُ للهِ الذِي أَنقَذَهُ مِنَ النَّار» **صحيح البخاري**، ج١، ص٤٥٥.

فمن»[1] لقد كان لفقدان السبيل ثمنا باهظا أذاق الأمة ويلات التيه الفكري الذي لبثت فيه سنين فاقت أربعينية اليهود[2] وما زالت، مالم تستضئ بنور الإسلام، الذي اتضحت معالمه كفلق الصبح وضحى النهار.

إن بناء الذات الذي تعاني من فقدانه الأمة في واقعها المعاصر في حاجة لتفعيل أسس التعاون بين علماء الأمة ومفكّريها والنصيحة لولاة أمورها، والدعوة لهم بالصلاح والإصلاح وإعانتهم في إصلاح المجتمع، والبعد عن نقدهم علناً مما يسهم في إشعال الفتنة وإضعاف شوكة المسلمين. قال صلى الله عليه وسلم: «مثل المؤمنين في توادهم وتراحمهم وتعاطفهم مثل الجسد إذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الجسد بالسهر والحمى»[3]. وقال صلى الله عليه وسلم: «المسلمون كرجل واحد، إن اشتكى عينه اشتكى كله، وإن اشتكى رأسه اشتكى كله»[4] وقال صلى الله عليه وسلم: «المسلم أخو المسلم لا يظلمه ولا يسلمه ومن كان في حاجة أخيه كان الله في حاجته»[5]. إن البحث عن الذات الإسلامية وتحقيقها أكبر حافز ومعين على تطبيق حيثيات الولاء الإسلامي الذي جعله النبي صلى الله عليه وسلم أوثق عرى الإسلام، وأوثق سبل تحقيق معاني الإنسانية وحاجيات تطوير المجتمع ولعل هذا ما يتسع تفصيله في المبحث التالي.

---

(1) صحيح البخاري، ج٣، ص١٢٧٤.

(2) قال تعالى: ﴿...فَإِنَّهَا مُحَرَّمَةٌ عَلَيْهِمْ أَرْبَعِينَ سَنَةً يَتِيهُونَ فِي الْأَرْضِ(٢٦)﴾ المائدة.

(3) صحيح مسلم، ج٨، ص٢٠.

(4) صحيح مسلم، ج ٤، ص ١٩٩٩.

(5) صحيح البخاري، ج٦، ص٢٥٥٠.

معالم التنمية البشرية في الحديث الشريف:

الناظر في معالم التنمية البشرية في زمان النبي صلى الله عليه وسلم، يلتمس معالم تنموية انتظمت معاني الحياة الروحية منها والمادية، تماشياً مع رسالة الإسلام وخصائصه الكمالية التي ارتضاها الله تعالى له دون غيره من الرسالات، فامتثلت حياة النبي صلى الله عليه وسلم وأصحابه الكرام شعائر الإسلام- قال الله تعالى: ﴿الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الإِسْلاَمَ دِينًا(٣)﴾ المائدة-، ومراده من التنمية البشرية، وأركانها الضامنة لنجاحها وديمومتها، فتعظيم شعائر الإسلام في قضايا التنمية البشرية بدأ من الإعداد النفسي- والروحي والبدني للأفراد والجماعة، فكرياً وإدارياً، بتعميق معاني الروح الجماعية، والتفاني والتضحية في سبيل الفوز برضا الله تعالى، وسياسة الناس وفق منهجه سبحانه وتعالى. من واقع الإخاء بين المسلمين وتوجيه مشاعرهم واهتماماتهم بما يفيد البشرية، وإبراز قواعد الإسلام كنموذج للعدالة والسماحة والحرية في المعتقد والممارسة، وبدوره أفرز توحيدا فكريا نفسيا بين شعوب المسلمين وتناسي شعور الأنانية والنظرة الشخصية الضيقة، فامتزج نسيج الأوس والخزرج من جانب في بوتقة الأنصار، وتلاقى المهاجرون من شتى بقاع الأرض، فتكون نسيج الوحدة الإسلامية قال الله تعالى: ﴿وَالسَّابِقُونَ الأَوَّلُونَ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ وَالأَنصَارِ وَالَّذِينَ اتَّبَعُوهُم بِإِحْسَانٍ رَّضِيَ اللهُ عَنْهُمْ وَرَضُواْ عَنْهُ وَأَعَدَّ لَهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي تَحْتَهَا الأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا ذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ (١٠٠)﴾ التوبة، فضلاً عن ذلك قدم نموذجا فاضلاً في استقطاب الغير، ومزجهم ضمن بوتقة المجتمع المدني بكفالة حقوقهم المدينة في المواطنة، والدينية، فأضحت معالم التربية تنتظم مفاصل مكونات الإصلاح المجتمعي، وفي جعبتها معاني العدل

والمساواة والصدق والتواضع وحسن التعامل[1] هذا من جانب، ومن جانب آخر بحث قضايا الأمن السياسي والاقتصادي، وبناء أسس التكافل الاجتماعي لمحاربة الفقر، والظلم والتسلط. وحسن التعامل مع مفردات المجتمع المدني بأطيافه، لعمرك إن هي إلا شرائط التمكين لأمة الإسلام قال تعالى: ﴿**الَّذِينَ إِنْ مَكَّنَّاهُمْ فِي الْأَرْضِ أَقَامُوا الصَّلَاةَ وَآتَوُا الزَّكَاةَ وَأَمَرُوا بِالْمَعْرُوفِ وَنَهَوْا عَنِ الْمُنْكَرِ..(٩)**﴾ النور.

معالم التنمية الروحية في السنة: أسست السنة منذ بذوق فجر الإسلام، للبناء الإنساني المتكامل، بدأ بتهذيب السلوك، على أسس العقيدة السليمة، والتحلي بمحاسن الأخلاق في مكونات الإنسان الذاتية والمجتمعية، وعمارة الأرض، وإقامة المؤسسات والاستفادة من سنن الكون،

---

(١) قال صلى الله عليه وسلم: «إنما بعثت لأتمم مكارم الأخلاق» **مسند الإمام أحمد**، ج٢، ص٣٨٢. ببعثته صلى الله عليه وسلم وشريعته كمل البناء الإيماني، والهدي الرباني، واكتمل للإنسانية النور الذي يضيء لها أسباب السعادة، واكتملت مكارم الأخلاق، ودعائم الحق والعدل. لقد أكرم صلى الله عليه وسلم وفد نجران من النصارى حيث صلوا في مسجده، ولم يعنف عليهم ولم يمنعهم من ذلك- انظر: ابن القيم، محمد بن أبي بكر أبو عبد الله، **هداية الحيارى في أجوبة اليهود والنصارى** (المدينة المنورة: الجامعة الإسلامية، د.ت) ج١، ص٢٧- تقول الدكتورة زيغريد هونكة: "ولعل أهم انتصارات العرب هو ما فوجئت به الشعوب من سماحتهم حتى إن الملك الفارسي(كيروس) قال: إن هؤلاء المنتصرين لا يأتون مخربين، فما يدعيه بعضهم من اتهامهم بالتعصب ما هو إلا أسطورة من نسج الخيال تكذبها آلاف الأدلة"، وهذا ما كان عليه الرسول وأصحابه من الرحمة والسماحة والعفو عن المسيء، واللين والتودد. وأنصف الإسلام المسيحية حيث وصف أتباع عيسى عليه السلام بها: ﴿**ثُمَّ قَفَّيْنَا عَلَى آثَارِهِمْ بِرُسُلِنَا وَقَفَّيْنَا بِعِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ وَءَاتَيْنَهُ الْإِنْجِيلَ وَجَعَلْنَا فِي قُلُوبِ الَّذِيْنَ اتَّبَعُوهُ رَأْفَةً وَرَحْمَةً وَرَهْبَانِيَّةً ابْتَدَعُوهَا مَا كَتَبْنَاهَا عَلَيْهِمُ الَّا ابْتِغَاء رِضْوَانِ اللهِ ...(٢٧)**﴾ انظر: الوقفي، إبراهيم أحمد، **السماحة في الإسلام والمسيحية**، ص٦٤.

حتى يكتمل مفهوم الاستخلاف الذي وعده الله تعالى للمؤمنين،[1] بقيام دولة الحضارة الراشدة، والتي تُعِيْنُ على الاعتبار في سنن الله في الكون الموصلة إلى قمة المفهوم الحضاري التنموي، وهو هرم فكري ذو قاعدة صلبة في تعميق الإيمان بالشواهد الاجتماعية.[2] فحضارة الإسلام انبنت على التنمية السليمة المستدامة،[3] التي تجاوزت اعتبارات المادة أو الوجود كمصدر أحادي للمعرفة، واعتبرت الوحي بأنه المرجع والملجأ الذي تستمد منه التنمية معالمها. وهي منبع فكري ومنهج للحياة أثر في المبادئ والشرائع والأنظمة والأوضاع، التي تنتظم

---

(١) قال الله تعالى: ﴿وَعَدَ اللهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُم فِي الْأَرْضِ كَمَا اسْتَخْلَفَ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ الَّذِي ارْتَضَى لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُم مِّن بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْناً يَعْبُدُونَنِي لَا يُشْرِكُونَ بِي شَيْئاً ....(٥٥)﴾ النور.

(٢) انظر عمر عبيد حسنة، في تقديمه لكتاب: روح الحضارة الإسلامية، للشيخ محمد الفاضل بن عاشور، (الولايات المتحدة: المعهد العالمي للفكر الإسلامي، ط٢، ١٤١٣هـ/ ١٩٩٢م) ص٧.

(٣) انظر أحمد كمال أبو مجد، رؤية إسلامية معاصرة: إعلان مبادئ، (القاهرة: دار الشروق، ١٤١٢هـ/ ١٩٩١م) ص٤٣.

المجتمع أفراداً أو جماعات، ومن ثم انعكاس ذلك على الأخلاق، والآداب، والتقاليد، والعادات، والقيم، والموازين التي تسود المجتمع، وتؤلف ملامحه، مع سيادة القيم الإنسانية، واستملاء الإنسان في العقيدة الإسلامية، والنظام الاجتماعي الإسلامي.(١)

فالتنمية في الإسلام تنمية إيمانية عقدية ملتزمة، متوازنة، شاملة، إيجابية، بناءة، واقعية خالدة مستمدة أسسها من خصائص دعوة الإسلام التي صدح بها القرآن نورا للبشرية وهادية في التعمير الكوني قال تعالى: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلا رَحْمَةً لِلْعَالَمِينَ(١٠٧)﴾ الأنبياء. هذه الآية جسدت معالم التنمية المستمدة من دين الإسلام، ففيها تنمية ممزوجة بعالمية الرحمة، وجبلية الإنسان، ومفصلية التبيين(٢)....

وفق ذلك أضحت مرتكزات البناء التنموي، نابعاً من سلامة المعتقد، المحفزة في التكامل البنيوي للإنسان، والواقعية في الفكر والممارسة، والأمل والثبات عند الشدائد، والهيمنة والإحاطة والشمول. وبناء النظام الاجتماعي الذي يعني: المساواة بين البشر فكراً، وفي العدالة الاجتماعية النافذة عملاً، والحرية المنضبطة، والأخوة البناءة، والأخلاق والفضائل، والبناء والتعمير، ومن أبرز المعالم التي ساهمت في إنجاح هذا المشروع هو الربط العقدي المستدام والمشارك في مفصلية التنمية بكافة أشكالها السالفة الذكر قال صلى الله عليه وسلم: «أن تعبد الله

---

(١) انظر عمر عبيد حسنة، في تقديمه لكتاب: روح الحضارة الإسلامية، ص٥.

(٢) انظر، رؤية إسلامية معاصرة: إعلان مبادئ، ص٤٩.

كأنك تراه فإن لم تكن تراه فإنه يراك»[1] ، ويمكن ضرب بعض النماذج التفصيلية في معالم العقيدة، وتزكية النفس، ودولة الرسالة، لتتجلى بصورة أوضح معالم التنمية في الإسلام.

- **معالم العقيدة في مفاصل التنمية المستدامة في الإسلام**: لقد ركز الإسلام منذ مطلعه على قضية الاعتقاد، واستغرقت قضية العقيدة بدأً كافة الحياة المكية، كما دخلت كافة مفاصل دعوة النبي صلى الله عليه وسلم في المجتمع المدني، وأضحت هي القوة الفاعلة في تنشيط العمل، فالعقيدة هي تنظيم صلة الإنسان بالله تعالى، وانتظام شريعة فاعلة شعارها شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله، وتوحيد الهدف بالإقرار بالعبودية لله وحده دون ما سواه، صاحب السلطان منزه عن الشرك والنقصان. وهذا مفهوم مفصلي في تنمية وبناء النفوس وهو يعني الإدراك البشري لحقائق العقيدة من مصدرها الرباني الذي يتكيف به الإنسان في إدراكه لحقيقة ربه ولجلاله ولحقيقة الكون الذي يعيش فيه، ولحقيقة الحياة التي يعيشها، ولحقيقة الإنسان نفسه، وهي قاعدة لمنهج كامل تقوم عليه حياة الأمة المسلمة، المتمثلة في مقتضيات أركان الإسلام، من صلاة، وزكاة، وصيام، وحج، وحدود، وتعازير، وحلال وحرام، وسلوك وأخلاق. قال تعالى: ﴿**قُلْ إِنَّ صَلاَتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي للهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ(١٦٢) لاَ شَرِيكَ لَهُ وَبِذَلِكَ أُمِرْتُ وَأَنَاْ أَوَّلُ الْمُسْلِمِينَ(١٦٣)**﴾الأنعام. إن استيعاب مفهوم العقيدة أمر جوهري مفصلي له معطيات كانت وراء ما حققته التربية الإسلامية من سمو، وإعجاز، أدهش العالم بأكمله. ومن هذه القيم بنى النبي صلى الله عليه وسلم معالم التنمية الشاملة:

- **معالم التكامل الإنساني (تزكية النفس)**: سمات تنمية الإنسان في الخطاب النبوي كانت ماثلة، وذات معالم ظاهرة في الأفراد والجماعات فكراً وعملاً، فنشأ المجتمع على مبادئ الإخلاص،

---

(١) صحيح البخاري، ج١، ص٢٧ - صحيح مسلم، ج١، ص٣٠

ورتبت على ذلك معاني التعبد والحياة، فصار شعار الصحابة المراقبة لله تعالى، -عن حذيفة رضي الله عنه قال: دُعي عمر لجنازة فخرج فيها أو يريدها، فتعلّقتُ به فقلتُ: اجلس يا أمير المؤمنين، فإنّه من أولئك أي: من المنافقين، فقال: « نشدتك الله، أنا منهم؟ قال: لا، ولا أبرئ أحدا بعدك»[1]-، حضرت في أذهانهم الأحاديث المحفزة للمراقبة، والمحذرة من اكتساب سلوكيات منافية لتلك القيم، فيقول تارة لأصحابه، «من غشنا فليس منا»[2]، وتارة يحفز فيهم ثمرات التعبد فيقول صلى الله عليه وسلم: «أن تعبد الله كأنك تراه، فإن لم تكن تراه فإنه يراك»[3]، ويغرس فيهم معاني التوكل الممهد لتقوية شخصية المسلم وتحفز فيه قوة الشخصية وارتباطها بحفظ حقوق الله تعالى ويقول: «أحفظ الله يحفظك .. واعلم أن الأمة لو اجتمعت على أن ينفعوك بشيء؛ لم ينفعوك إلا بشيء قد كتبه الله لك، ولو اجتمعوا على أن يضروك بشيء لم يضروك إلا بشيء قد كتبه الله عليك،..»[4]، وزاد في رواية الطبراني: «واعلم أن ما أصابك لم

---

(١) الهيثمي، نور الدين علي بن أبي بكر، **مجمع الزوائد ومنبع الفوائد** (بيروت: دار الفكر، ١٤١٢ه) ج٣، ص١٥٧، قال: رواه البزار ورواته ثقات.

(٢) صحيح مسلم، ج١، ص٦٩.

(٣) صحيح البخاري، ج١، ص٢٧ - صحيح مسلم، ج١، ص٣٠.

(٤) سنن الترمذي، وقال: حسن صحيح، ج٤، ص٦٦٧، حديث رقم ٢٥١٦.

يكن ليخطئك، وما أخطأك لم يكن ليصيبك»(١)، ثم يصرح لهم بتجويد العمل وأنه مؤشر النجاح قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «إن الله كتب الإحسان على كل شيء...»(٢).

هذه التوجيهات الراشدة معنية بمعالجة السلوك وغرس الطهارة السامية، وإلباس ثوب الكرامة المتمردة على عبودية الإنسان للإنسان، وتسلط الطواغيت، قال تعالى: ﴿**قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ تَعَالَوْاْ إِلَى كَلَمَةٍ سَوَاء بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلاَّ نَعْبُدَ إِلاَّ اللّهَ وَلاَ نُشْرِكَ بِهِ شَيْئاً وَلاَ يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضاً أَرْبَاباً مِّن دُونِ اللّهِ فَإِن تَوَلَّوْاْ فَقُولُواْ اشْهَدُواْ بِأَنَّا مُسْلِمُونَ (٦٤)**﴾ آل عمران، ورأينا من هذه التربية ثمرات أتى أكلها، فانتفعت منها البشرية في مشارق الأرض ومغاربها، فشخصيات الصحابة رضي الله عنهم صارت لها مميزات متنوعة ومتعددة، وأشرقت بنور الله تعالى الأرض بحياة الصحابة، يُعَرِّفُوُنَ بقيم الإسلام أينما حلوا وحيثما وجدوا، قال النبي صلى الله عليه وسلم في وصيته لمعاذ بن جبل حين بعثه إلى اليمن: «إنك تأتي قوما من أهل الكتاب فادعهم إلى شهادة أن لا إله إلا الله، وأني رسول الله، فإن هم أطاعوا لذلك فأعلمهم أن الله تعالى افترض عليهم خمس صلوات في كل يوم وليلة، فإن هم أطاعوا لذلك فأعلمهم أن الله افترض عليهم صدقة تؤخذ من أغنيائهم فترد في فقرائهم، فإن هم أطاعوا لذلك فإياك وكرائم أموالهم، واتق دعوة المظلوم فإنه ليس بينها وبين الله حجاب»(٣)

- **معالم الدولة الرسالية**: إن مقومات الدولة الرسالية تستمد نورها من خصائص دعوة الإسلام والتي من أهمها الوسطية في الفكر والاعتدال في الممارسة، أسسها النبي صلى الله عليه

---

(١) الطبراني، سليمان بن أحمد بن أيوب أبو القاسم، **المعجم الكبير**، تحقيق: حمدي بن عبد المجيد السلفي، (الموصل: مكتبة العلوم والحكم، ١٤٠٤ – ١٩٨٣م) ج١١، ص١٢٣.

(٢) **صحيح مسلم**، ج ٣ ، ص ١٥٤٨.

(٣) **صحيح البخاري، ج٢، ص٥٤٤.**

وسلم على أسس، منها بناء المسجد النبوي، الذي هو شعار المسلمين، لما له من دور في توحيد المسلمين، بدأً بالصلاة في الجماعة وطريقة الاصطفاف في الصلاة، وتكوين حلقات الذكر والعلم وتلاوة وتعليم القرآن الكريم، والفتوى، كما كان المسجد ساحة اجتماعية يعان فيه المعدوم، ويعاد فيه المريض، ويعزى فيه الأموات، ويطعم فيه الجائع كأهل الصفة، وكان المسجد ساحة قضائية يفصل فيه بين المتخاصمين، وتعد فيه الجيوش للجهاد، فكان بصورة عامة ديوانا لشؤون الدولة المسلمة، وعليه بنيت أواصر المؤاخاة بين المهاجرين والأنصار، ومُسِحت من الخارطة الإسلامية حمية الجاهلية القبلية، ولم تُقِيَم المؤاخاة وزناً لاعتبارات القبيلة أو الطبقة، بل جمعت المؤاخاة بين الغني والفقير، والأبيض والأسود، والحرّ والعبد، وحلت محلها مباني التعاضد والتكافل والتراحم، والمودّة، والنصرة، والمواساة، ولقد أنزل فيهم الله تعالى قرآنا يتلى إلى يوم القيامة بقوله تعالى: ﴿**وَالَّذِينَ تَبَوَّءُوا الدَّارَ وَالإِيمَانَ مِنْ قَبْلِهِمْ يُحِبُّونَ مَنْ هَاجَرَ إِلَيْهِمْ وَلاَ يَجِدُونَ فِي صُدُورِهِمْ حَاجَةً مِمَّا أُوتُوا وَيُؤْثِرُونَ عَلَى أَنْفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ وَمَنْ يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِ فَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ(٩)**﴾ سورة الحشر، ومن معالم المؤاخاة ما جرى بين عبد الرحمن بن عوف، قال عبد الرحمن بن عوف رضي الله عنه: لما قدمنا إلى المدينة آخى رسول الله صلى الله عليه و سلم بيني وبين سعد بن الربيع فقال سعد بن الربيع إني أكثر الأنصار مالا فأقسم لك نصف مالي وانظر أي زوجتي هويت نزلت لك عنها فإذا حلت تزوجتها قال فقال عبد الرحمن لا حاجة لي في ذلك هل من سوق فيه تجارة؟. قال سوق قينقاع قال فغدا إليه عبد الرحمن فأتى بأقط وسمن قال: ثم تابع الغدو فما لبث أن جاء عبد الرحمن عليه أثر صفرة فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «تزوجت؟. قال: نعم قال: ومن؟. قال امرأة من الأنصار. قال: كم سقت؟. قال: زنة نواة من ذهب أو نواة من ذهب، فقال له النبي

صلى الله عليه وسلم : أولم ولو بشا»[1]، ولقد حفظ النبي صلى الله عليه وسلم للأنصار حقوقهم لما قاموا به من كرم الضيافة، واحتضان الإسلام ورسول الإسلام والمهاجرين من الصحابة، فقال النبي صلى الله عليه وسلم: « لو أن الأنصار سلكوا واديا أو شعبا لسلكت في وادي الأنصار، ولولا الهجرة لكنت امرأ من الأنصار »[2]، ومن ثم وضع النبي صلى الله عليه وسلم دستورا ينتظم الحياة الاجتماعية لدولة المؤمنين التي راعت حقوق الأقليات غير المسلمة كاليهود والمشركين، ولفيف من المنافقين، على أساس العدالة والرحمة لكافة المجتمع المدني، وكانت معالم الرسالة الإسلامية حاضرة في مفصليات الدستور الإسلامي، وأسهم في انتشار الإسلام ودخوله بيوت أهل المدينة، فضلاً عن تعامله صلى الله عليه وسلم مع اليهود والمنافقين وفق توجيهات الله تعالى حرصاً منه على بناء مجتمع سمح تنصهر فيه التنوعات المتمايزة ويتعرف من خلالها المجتمع على منهج الإسلام ودعوته، فانتفع بذلك كثير من أتباع اليهود والمنافقين.

أهداف التنمية البشرية وتحدياتها في ضوء السنة:

الأهداف الإستراتيجية للعمل التنموي في الإسلام هي تَبَلْوُر مُقَوِّمات للتنمية البشرية وتجسدها في مكونات المجتمع المسلم في صدر الإسلام باعتباره عصر تأصيل وتأطير لأسس ومعالم وأهداف التنمية البشرية، باعتبار التنمية في صدر الإسلام لها أسس ومبادئ ومميزات وقيم، وطرق تدار بها الفرص والتحديات، مستمدة من خصائص الرسالة الإسلامية من الشمولية والوسطية والهيمنة، والفطرية، والخلود، فهي هادفة إلى إنما حياة القدوة في التعبد، وتنمية قيم العدالة المجتمعية، والقسط والتوسط في الدين والحياة وعدم رهبنة الإنسان، عن

(١) صحيح البخاري، ج٢، ص٧٢٢.

(٢) نفس المصدر، ج٣، ص١٣٧٧.

عَبْدُ اللهَّ بْنُ عَمْرِو بْنِ الْعَاصِ قَالَ: قَالَ: رَسُولُ اللهَّ صلى الله عليه وسلم: «يَا عَبْدَ اللهَّ أَلَمْ أُخْبَرْ أَنَّكَ تَصُومُ النَّهَارَ وَتَقُومُ اللَّيْلَ؟. قُلْتُ بَلَى يَا رَسُولَ اللهَّ. قَالَ: فَلاَ تَفْعَلْ، صُمْ وَأَفْطِرْ، وَقُمْ وَنَمْ، فَإِنَّ لِجَسَدِكَ عَلَيْكَ حَقًّا، وَإِنَّ لِعَيْنِكَ عَلَيْكَ حَقًّا، وَإِنَّ لِزَوْجِكَ عَلَيْكَ حَقًّا»(١)، قال صلى الله عليه وسلم: «إن الله لا يمل حتى تملوا»(٢)، كما هدفت لتنمية العزة بالدين ومفاهيم الاستعانة والتوكل، قال عليه الصلاة والسلام: «وإذا استعنت فاستعن بالله».(٣) ، وبما أن المساحة البحثية توجب الاختصار فإنني أشير إلى مقتطفات نموذجية لأبرز أهداف التنمية البشرية في الحديث الشريف، وهي تنمية مفهوم القدوة في السلوك والدعوة مما يعين على نشر الإسلام بالصورة الحقيقية التي ارتضاها الله تعالى، وتنمية قيم العدالة المجتمعية، وهذه بدورها تعزز من أهداف القدوة السلوكية، وتعزز من دين الله تعالى وسط الإنسانية جمعاء، وتنمية مفهوم الحريات المنضبطة في الإسلام الذي كفل حق التعايش السلمي لغير المسلمين، وسمح بحرية المعتقد والتعبد، لكم دينكم ولي دين، ومن ثم تنمية مهارات إدارة الفرص والمخاطر والتحديات.

تنمية مفهوم القدوة السلوكية:

(١) **صحيح البخاري**، ج ١٧، ص ٣١٠.

(٢) القضاعي، محمد بن سلامة بن جعفر أبو عبد الله، **مسند الشهاب**، تحقيق: حمدي بن عبد المجيد السلفي (بيروت: مؤسسة الرسالة، ط٢، ١٤٠٧-١٩٨٦) ج١، ص٤٤٢.

(٣) سنن الترمذي، وقال: حسن صحيح، ج٤، ص٦٦٧.

- من أهداف التنمية البشرية في السنة، تنمية قدوة السلوك كملكة قائمة على قيم الإسلام، ومبادئ الدين، فإن كان المؤمنون مأمورون بالإقتداء بالنبي صلى الله عليه وسلم، في سلوكياتهم وشؤون حياتهم، فإن الأمر جاء على عمومه وليس مقيداً بجانب من حياته صلى الله عليه وسلم، قال تعالى: ﴿**لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِمَنْ كَانَ يَرْجُو اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ وَذَكَرَ اللَّهَ كَثِيرًا(٢١)**﴾ الأحزاب، وربط أمر قبول العمل ونيل رضا الله تعالى بإتباع محمد صلى الله عليه وسلم، قال تعالى: ﴿**قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ (٣١)**﴾ آل عمران، ووصفت السيدة عائشة رضي الله عنها خلق النبي صلى الله عليه وسلم بقولها: «كان خلقه القرآن»(١)، فإن مصادقة القول العمل أمر رباني عاب الله تعالى على مخالفيه، قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لِمَ تَقُولُونَ مَا لَا تَفْعَلُونَ(٢) كَبُرَ مَقْتًا عِندَ اللَّهِ أَن تَقُولُوا مَا لَا تَفْعَلُونَ(٣)﴾ الصف، وقال تعالى: ﴿أَتَأْمُرُونَ النَّاسَ بِالْبِرِّ وَتَنسَوْنَ أَنفُسَكُمْ(٤٤)﴾ البقرة، وحث النبي صلى الله عليه وسلم بالإقتداء به في جميع مفاصل الحياة، فهو الذي ربى أصحابه على سلوك القدوة في الأخلاق دعاة ومدعوين، ربى أبو ذر على قدوة التواضع بالزجر والنهي عن سلوكيات الجاهلين، وربى ابن اللتيبة على النئي عن مواطن الشبهات في التعاملات المالية، وربى آل ياسر على قدوة الصبر، وتأثر الصحابة بسلوك النبي صلى الله عليه وسلم أيما تأثير، عن عروة بن مسعود في صلح الحديبية: «...فَقَامَ عُرْوَةُ بْنُ مَسْعُودٍ،...، فَقَالَ عُرْوَةُ:..فَإِنِّي وَاللَّهِ لَأَرَى وُجُوهًا وَإِنِّي لَأَرَى أَوْشَابًا مِنَ النَّاسِ خَلِيقًا أَنْ يَفِرُّوا وَيَدَعُوكَ، فَقَالَ لَهُ أَبُو بَكْرٍ الصِّدِّيقُ: امْصُصْ بَظْرَ اللَّاتِ، أَنَحْنُ نَفِرُّ عَنْهُ وَنَدَعُهُ،...قَالَ: فَوَ اللَّهِ مَا تَنَخَّمَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ نُخَامَةً إِلَّا وَقَعَتْ فِي كَفِّ رَجُلٍ مِنْهُمْ فَدَلَكَ بِهَا وَجْهَهُ وَجِلْدَهُ، وَإِذَا أَمَرَهُمُ ابْتَدَرُوا أَمْرَهُ، وَإِذَا تَوَضَّأَ كَادُوا يَقْتَتِلُونَ عَلَى وَضُوئِهِ، وَإِذَا تَكَلَّمَ خَفَضُوا أَصْوَاتَهُمْ عِنْدَهُ، وَمَا يُحِدُّونَ إِلَيْهِ النَّظَرَ تَعْظِيمًا لَهُ، فَرَجَعَ عُرْوَةُ إِلَى أَصْحَابِهِ، فَقَالَ: أَيْ قَوْمِ، وَاللَّهِ

(١) الأدب المفرد، ج١، ص١١٥.

لَقَدْ وَفَدْتُ عَلَى الْمُلُوكِ وَوَفَدْتُ عَلَى قَيْصَرَ، وَكِسْرَى، وَالنَّجَاشِيِّ، وَاللهِ إِنْ رَأَيْتُ مَلِكًا قَطُّ يُعَظِّمُهُ أَصْحَابُهُ مَا يُعَظِّمُ أَصْحَابُ مُحَمَّدٍ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مُحَمَّدًا، وَاللهِ إِنْ تَنَخَّمَ نُخَامَةً إِلَّا وَقَعَتْ فِي كَفِّ رَجُلٍ مِنْهُمْ فَدَلَكَ بِهَا وَجْهَهُ وَجِلْدَهُ ، وَإِذَا أَمَرَهُمُ ابْتَدَرُوا أَمْرَهُ، وَإِذَا تَوَضَّأَ كَادُوا يَقْتَتِلُونَ عَلَى وَضُوئِهِ، وَإِذَا تَكَلَّمَ خَفَضُوا أَصْوَاتَهُمْ عِنْدَهُ، وَمَا يُحِدُّونَ إِلَيْهِ النَّظَرَ تَعْظِيمًا لَهُ، وَإِنَّهُ قَدْ عَرَضَ عَلَيْكُمْ خُطَّةَ رُشْدٍ فَاقْبَلُوهَا»(١)، ولقد أمر النبي صلى الله عليه وسلم بالتأسي بأصحابه وأصحاب أهل القرون الأولى لقربهم بزمنه صلى الله عليه وسلم، قال صلى الله عليه وسلم: «خَيْرُ النَّاسِ قَرْنِي، ثُمَّ الَّذِينَ يَلُونَهُمْ، ثُمَّ الَّذِينَ يَلُونَهُمْ، ثُمَّ يَجِيءُ أَقْوَامٌ تَسْبِقُ شَهَادَةُ أَحَدِهِمْ يَمِينَهُ، وَيَمِينُهُ شَهَادَتَه»(٢)، فصارت القدوة من أكبر المعينات في البناء التنموي في الإسلام، والقدوة الإسلامية قدوة شاملة في المعاملات الأسرية، وتربية الأولاد، والمعاملات المالية، والعبادات، ..الخ.

تنمية قيم العدالة المجتمعية: جاء الإسلام بالعدل الذي يكفل لكل فرد ولكل جماعة ولكل قوم قاعدة ثابتة للتعامل لا تميل مع الهوى ولا تتأثر بالود أو البغض ولا تتبدل مجاراة للصهر أو النسب، والغنى والفقر، والقوة والضعف قال تعالى: ﴿**إِنَّ اللهَ يَأْمُرُكُمْ أَن تُؤدُّواْ الأَمَانَاتِ إِلَى أَهْلِهَا وَإِذَا حَكَمْتُم بَيْنَ النَّاسِ أَن تَحْكُمُواْ بِالْعَدْلِ إِنَّ اللهَ نِعِمَّا يَعِظُكُم بِهِ إِنَّ اللهَ كَانَ سَمِيعاً بَصِيراً(٥٨)**﴾ سورة النساء. لقد ربى النبي صلى الله عليه وسلم الصحابة على أسس العدالة مع الذات ومع الآخر، وبين لهم أن العدالة ملهمة لحب الخير للآخرين، وداعية لروابط الوحدة الإيمانية التي هي من أظهر معالم التنمية الروحية، قال صلى الله عليه وسلم: «لا يؤمن أحدكم

(١). صحيح البخاري، ج٢، ص٩٧٤

(٢) صحيح البخاري، ج٢، ص٩٣٨.

حتىٰ يحب لأخيه ما يحب لنفسه».[1] فأضحت العدالة في الإسلام مساواة مشوبة بمفهوم الرحمة، والمروءة، والكرم، والبذل، والعطاء، ربطها الله تعالىٰ بهذه القيم، قال تعالىٰ: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يَأۡمُرُ بِٱلۡعَدۡلِ وَٱلۡإِحۡسَانِ وَإِيتَآيِٕ ذِي ٱلۡقُرۡبَىٰ...(٢٣)﴾ يونس، إن معالم العدالة في الإسلام شاملة لكافة الأطياف ففي إحقاق الحقوق تعد مساواة، وفي العدالة الأسرية تعد رحمة، وفي العدالة بين الأخوين تعد محبة، فعدالة الإسلام عدالة روحية إيمانية من أهم نتائجها الرضا والتسليم، قال تعالىٰ: ﴿**فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا فِي أَنفُسِهِمْ حَرَجًا مِّمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيمًا(٦٥)**﴾ ، **جهر بها النبي صلى الله عليه وسلم في وجه حِبِّه أسامة بن زيد**، في شفاعته للمخزومية فقال صلىٰ الله عليه السلام معاتباً: «أتشفع في حد من حدود الله يا أسامة، ثم وقف خطيباً وقال: ما بال قوم يشفعون في حد من حدود الله، إنما أهلك الذين من قبلكم أنهم كانوا إذا سرق فيهم الشريف تركوه، وإذا سرق فيهم الضعيف قطعوه، وأيم الله لو أن فاطمة بنت محمد سرقت لقطعت يدها»[2]، هذا هو العدل في الإسلام الذي حض الله تعالىٰ عليه وأمر به جل شأنه، من ذلك قوله تعالىٰ: ﴿**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ كُونُواْ قَوَّامِينَ بِالْقِسْطِ شُهَدَاء للّهِ وَلَوْ عَلَى أَنفُسِكُمْ أَوِ الْوَالِدَيْنِ وَالأَقْرَبِينَ إِن يَكُنْ غَنِيّاً أَوْ فَقِيراً فَاللّهُ أَوْلَى بِهِمَا فَلاَ تَتَّبِعُواْ الْهَوَى أَن تَعْدِلُوا(١٣٥)**﴾ النساء. ومن العدالة المقصودة في الإسلام تهيئة الفرص ومراعاة المواهب، مما يعين علىٰ تفجير قدرات وطاقات ومهارتٍ مذهلة تعين الإسلام ومجتمع الإسلام في مجالاته المتعددة، فهذا رسول الله يطلق العنان لحسانٍ ويأمره بجهاد الكلم

---

(١) صحيح البخاري، ج١، ص١٤ – صحيح مسلم، ج١، ص٤٩.

(٢) صحيح مسلم، ج٥، ص١١٤.

أمام الطغاة من القرشيين، الذين يسري فيهم قرض الشعر ويؤثر على قواهم مما كان لـه مغـزى أعان الإسلام في مجاله.

هذه العدالة هي أساسة في تنمية الشعوب ومحاربة الفقر والعادات الضارة، والظلـم المـادي والمعنوي قال رسول الله صلى الله عليـه وسـلم: «لاَ تَحَاسَـدُوا وَلاَ تَنَاجَشُـوا وَلاَ تَبَاغَضُـوا وَلاَ تَدَابَرُوا..الْمُسْلِمُ أَخُو الْمُسْلِمِ لاَ يَظْلِمُهُ وَلاَ يَخْذُلُهُ وَلاَ يَحْقِرُهُ..بِحَسْبِ امْـرِئٍ مِـنَ الشَّرِّ أَنْ يَحْقِـرَ أَخَاهُ الْمُسْلِمَ كُلُّ الْمُسْلِمِ عَلَى الْمُسْلِمِ حَرَامٌ دَمُهُ وَمَالُهُ وَعِرْضُهُ»(١). فـما تحققـه العدالـة في توزيـع الحقوق المادية والمعنوية حري به أن يعين على تنمية مجتمع رسالي هادف لإعلاء كلمته سـبحانه، وتعمير الكون ونشر الفضيلة التي يباهي الله تعالى بها الملائكة في السماء. فالعدالة التي جاء بهـا الإسلام هو في الحقيقة انسجام عالمي، ووحدة إنسانية متكاملة، تُكَوِّنُ جماعة دولية، تحمي فيهـا الامتيازات القائمة على الاختلاف في الألوان والأجناس واللغات والحـدود الجغرافيـة، ومـن المحال أن تكون حضارة إنسانية عالمية إلا بتحقيق ذلك لأنها من جانب تحافظ على فردية الفرد، ومن جانب آخر تطهرها من كل ما قد يكون فيها من الميول المتناقضة قالها صلى الله عليه وسـلم لأبي ذر: «إنك امرء فيك جاهلية»(٢). والنظام الإسلامي بهذا يقطع الطريق على النظام الطبقي –كما في النظام الشيوعي، والرأسمالي– وما يصاحبه مـن نظـام مجتمعـي، وقـد أحـدثت، هـذه المبادئ ثورة اجتماعية هائلة، بدلت الأوضاع الاجتماعية فالكل أمام الله تعالى سواء، ومـن هـذا المنطلق سار الناس بطاقاتهم إلى المجد، لا يعترضهم جهل، أو غرور أو تسلط، ويسعى الكل بما يليه من عمله، فهو الذي يرفعه أو يوبقه.

---

(١) **صحيح مسلم**، ج ٨، ص ١٠.

(٢) ابن تيمية، أحمد بن عبد الحليم بن تيمية، **اقتضاء الصراط المستقيم مخالفة أصحاب الجحيم**، تحقيـق: محمـد حامد الفقي (القاهرة: مطبعة السنة المحمدية، ط٢، ١٣٦٩هـ) ج١، ص٦٩.

- **تنمية مفهوم الحريات**: لقد صدح القرآن الكريم بقضايا الحريات كحق إنساني، بكافة أشكالها، وهو من الجوانب المعبرة عن سماحة الإسلام، واحترامه لخصوصيات الناس، وهي حرية منضبطة بالمسؤولية الفردية، وحقوق الآخرين،(١) حرية ترشد في فكرها لهدي الدين وقواعده، فالمسلم تفكير ذو حدود لا يمكن تجاوزها.(٢) يقرر الإسلام حرية الفكر والتفكير ويحض الناس على التأمل والبحث واستجلاء الحقائق والنظر إلى ما وراء الأشياء إلى غايتها. ولهذا نرى دعوة القرآن إلى التفكر في خلق السموات والأرض وفي خلق أنفسهم وفيما حولهم مما تقع عليه أبصارهم، أو تسمعه آذانهم، ليصلوا من رواء ذلك كله إلى معرفة الخالق وليستطيعوا التمييز بين الحق والباطل والهدى والضلال، والأدلة في القرآن الكريم كثيرة التي تحث على التأمل والتدبر والتفكر، من ذلك قوله جل شأنه: ﴿**وَفِي الْأَرْضِ آيَاتٌ لِّلْمُوقِنِينَ(٢٠) وَفِي أَنفُسِكُمْ أَفَلَا تُبْصِرُونَ(٢١)**﴾ الذاريات، وقوله تعالى: ﴿**قُلْ إِنَّمَا أَعِظُكُم بِوَاحِدَةٍ أَن تَقُومُوا لِلَّهِ مَثْنَى وَفُرَادَى ثُمَّ تَتَفَكَّرُوا مَا بِصَاحِبِكُم مِّن جِنَّةٍ إِنْ هُوَ إِلَّا نَذِيرٌ لَّكُم بَيْنَ يَدَيْ عَذَابٍ شَدِيدٍ(٤٦)**﴾ سبأ. ومن ثم للإنسان حرية المعتقد إن شاء آمن وإن شاء كفر، هذا وقد وضع الإسلام ضوابط للحرية لا تخرج عن إطار القيم والفضائل والأخلاق وحقوق الآخرين والمصالح العامة للناس، لقد كفل النبي صلى الله عليه وسلم لليهود حرية المعتقد والتعبد، ولم يحمل إي كائن على اعتناق الإسلام كرهاً بل ترك له حرية الاختيار امتثالاً لأمر الله تعالى: ﴿**وَقُلِ الْحَقُّ مِن رَّبِّكُمْ فَمَن شَاء فَلْيُؤْمِن وَمَن شَاء فَلْيَكْفُرْ...(٢٩)**﴾ الكهف، وفق شروط

---

(١) انظر: أصول النظام الاجتماعي في الإسلام، ص٢٥٥.

(٢) انظر: أصول النظام الاجتماعي في الإسلام، ص٢٥٥، المصدر نفسه، ص٢٧٠.

الحرية المرتكزة بشكل أساس على المسؤولية، ومراعاة حقوق الغير، فالمجتمع المسلم ذو قيم وأخلاق، فلا يجوز للمسلم التفريط في الفرائض والواجبات الدينية، أو فساد الاعتقاد بحجة الحرية، فالحرية في الإسلام لها ضوابط شرعية محكمة هادفة لتنمية المجتمع وربطه بقيم الإسلام، فالإنسان حر في ممارساته بشرط أن يكون سيد نفسه فلا تستبد به آراؤه أو تستعبده شهواته، وهو حر أيضاً في أن يمارس حريته على ألا تتعارض هذه الحرية مع الصالح العام وحق المجتمع، فالإنسان حر ولكنه في الوقت ذاته مسئول عن خير المجتمع والصالح العام، وهكذا نجد أن الإسلام في تصوره للحرية فاق جميع المذاهب والأديان والفلسفات فلم يطلقها كالوجودية الملحدة والشيوعية، ولم يكبتها وإنما أطلقها في حدود لا تتعارض مع خير الفرد والمجتمع، وكان من ثمار هذه الحرية اعتقاداً وفكراً وقولاً الإنجازات العلمية الكبرى في جميع ميادين المعرفة التي تحققت على أيدي المسلمين منذ بذوق فجر الإسلام.

- **تنمية مهارات إدارة الفرص والمخاطر والتحديات**: المجتمع المسلم في حياة النبي صلى الله عليه وسلم، وصحابته الكرام، مرّ بفترة كدين أقلية، في مكة بين ظهراني قريش، ومن ثم صار دين غالبية، وسط أقلية غير مسلمة ف دولة النبي صلى الله عليه وسلم بالمدينة المنورة، فالتنمية البشرية في فترة مكة كانت معالمها منصبة على مواجهات المتغيرات التي كانت في أوج نشاطها، ومن ثم المحافظة على مكتسبات الطائفة المسلمة، التي بالكاد يتخطى عدد أفرادها الأربعون، انبنت مفاهيم دولة الرشد على مبدأ النظم المجتمعية الإسلامية المتكاملة، والتي صبغة به المجتمعات الإنسانية. بعيدا عن أهواء البشر وعصبياتهم التي أفسدت نظام الحياة، وجعلت موازين المجتمع وفق الطبقية في المادة والعرق وهو ما يمثل نموذجا من نماذج الجاهليات المعاصرة التي ركزت في معالجة القضايا المجتمعية على مفهوم المادية وأهملت الأبعاد الإنسانية وأفقدت النظام الاجتماعي أفضل ما يملك من طاقات وأفكار هادفة في إسعاد الناس ولعل

هذا التنظير يتأطر في مفصلات البعد الاجتماعي في مفهوم دولة الفضيلة في معية الفكر الإسلامي، فانجلت ناصعة ليلها كنهارها لا يزيغ عنها إلا هالك.

انبنت إدارة الفرص والتحديات التنموية في الإسلام على مبدأ الأمل وحسن الظن في الله تعالى ورجائه وهو مبعث طمأنينة القلب؛ إذ يربي الإيمانُ القلبَ على نفسية قائمة على الثقة بالله[1] والاعتماد عليه، والتوجه إليه في كل حال وعلى كل حال، قال تعالى: ﴿**فَفِرُّوا إِلَى اللَّهِ إِنِّي لَكُمْ مِنْهُ نَذِيرٌ مُبِينٌ (٥٠)**﴾ الذاريات. فلا سبيل لليأس والقنوط، أمر المؤمن كله خير، والجلد والثقة حتى يأتيه نصر الله وهو مطلع عليه، يقول الله تعالى: ﴿**وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ فَلْيَسْتَجِيبُواْ لِي وَلْيُؤْمِنُواْ بِي لَعَلَّهُمْ يَرْشُدُونَ(١٨٥)**﴾ البقرة. ولقد ضرب الأنبياء نموذجاً في إدارة الأزمات ومواجهت التحديات، فكانوا أكثر الناس ثباتا وصبرا في الشدائد، فقد قابلت دعوة النبي صلى الله عيه وسلم تَعَنُّتَ قريش واليهود والمنافقين، على مَرِّ عمر الرسالة بالصبر والمثابرة، وربى أصحابه على ذلك أحيانا بالتحفيز، وأحيانا بالحزم، وأحيانا بفتح باب الأمل، كقصة عمر بن الخطاب رضي الله عنه في صلح الحديبية، بقوله: "يا أيها الناس اتهموا رأيكم على الدين فقد رأيتني وإني لأرد أمر رسول الله برأيي أجتهد والله ما آلو ذلك يوم أبي جندل والكتاب يكتب فقالوا: تكتب باسمك اللهم، فرضي رسول الله وأبيت، فقال: يا عمر تراني قد رضيت وتأبى"[2] حيث بين له صلى الله عليه وسلم إنه ليست عمرة بل

---

(١) ابن القيم، محمد بن أبي بكر أيوب الزرعي، **مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين**، تحقيق : محمد حامد الفقي (بيروت: دار الكتاب العربي، ط٢، ١٣٩٣ – ١٩٧٣م) ج١، ص٧٥.

(٢) انظر: المتقي الهندي، علاء الدين علي بن حسام الدين ، **كنز العمال في سنن الأقوال والأفعال**، تحقيق: بكري حياني–صفوة السقا (بيروت: مؤسسة الرسالة، ط٥، ١٤٠١هـ/ ١٩٨١م) ج١، ص٣٧٢، وأسنده للبزار – وانظر: **مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين**، ج٣، ص٤٣٨. كما ورد عن سهل بن حنيف رضي الله عنه يوم صَفِّين: «اتَّهموا رأيكُم، والله لقد رَأَيْتُني يوم أبي جَندل ولو أنِّي أستطيعُ أن أرُدَّ أمرَ

فتح مبين، بعد أن أصاب الصحابة حزنا لما رأوه من بنود صلح الحديبية، وقوله صلى الله عليه وسلم لخباب بن الأرت: «لقد كان من قبلكم ليمشط بمشاط الحديد ما دون عظامه من لحم أو عصب ما يصرفه ذلك عن دينه ويوضع المنشار على مفرق رأسه فيشق باثنين ما يصرفه ذلك عن دينه، وليتمن الله هذا الأمر حتى يسير الراكب من صنعاء إلى حضرموت ما يخاف إلا الله»(١). فهذه العقيدة تعطي صاحبها صفات نفسية عامرة كريمة بغير حدود من هذه الصفات الجراءة والشجاعة والبسالة النادرة، والشجاعة في ميادين الحياة المختلفة، وضبط السلوك المجتمعي البشري، عن أبي أمامة قال: إن فتى شابا أتى النبي صلى الله عليه وسلم فقال: يا رسول الله ائذن لي بالزنا، فأقبل القوم عليه فزجروه، قالوا: مه مه، فقال: «أدنه فدنا منه قريبا، قال: فجلس، قال: أتحبه لأمك؟ قال: لا والله جعلني الله فداءك، قال: ولا الناس يحبونه لأمهاتهم، قال: أفتحبه لابنتك؟ قال: لا والله يا رسول الله جعلني الله فداءك، قال: ولا الناس يحبونه لبناتهم، قال: أفتحبه لأختك؟ قال: لا والله جعلني الله فداءك، قال: ولا الناس يحبونه لأخواتهم، قال: أفتحبه لعمتك؟ قال: لا والله جعلني الله فداءك، قال: ولا الناس يحبونه

رسول الله لرَدَدْتُهُ»، وإنَّما قال ذلك لِمَا عَرَض لهم فيه مِن الإشكال، وإنَّما نزلت سورةُ الفتح بعدما خالطهم الحزنُ والكآبةُ لشدَّة الإشكال عليهم والْتِبَاسِ الأمرِ، ولكنَّهم سلَّمُوا وتركوا رأيَهم حتَّى نزل القرآنُ، فزال الإشكالُ والالتباسُ، وصار مثلُ ذلك أصلاً لمن بعدَهم، فالْتَزَمَ التَّابعون في الصَّحابة سيرَتَهم مع النَّبيِّ صلى الله عليه وسلم حتَّى فَقِهُوا ونَالُوا ذَرْوَةَ الكمالِ في العُلوم الشَّرعيَّة»، الشاطبي، إبراهيم بن موسى بن محمد اللخمي الغرناطي، **الموافقات**، تحقيق: أبو عبيدة مشهور بن حسن آل سلمان (دار ابن عفان، ط١، ١٤١٧هـ/ ١٩٩٧م)، ج١، ص١٤٤.

(١) **صحيح البخاري، ج٣، ص١٣٩٨ . وزاد في رواية: "والذئب على غنمه"**

لعماتهم، قال: أفتحبه لخالتك؟ قال: لا والله جعلني الله فداءك، قال: ولا الناس يحبونه لخالاتهم، قال: فوضع يده عليه، وقال: اللهم اغفر ذنبه، وطهر قلبه، وحصن فرجه، فلم يكن بعد ذلك الفتى يلتفت إلى شيء»(١)، لذا فقد ضرب أصحاب العقائد أروع الأمثلة في الاستقامة والقدوة في حمل الشعوب على الهداية ونبذ الانحراف ومداواة النفوس، إن الأمل الذي تدعوا له عقيدة الإسلام هو الأمل في الله عز وجل، وهو أمل يدخل في حيثيات الحياة الاجتماعية، مما يزهر نجاحها وفلاحها، ويحفزها على البذل والعطاء. إن تنمية الذات من صميم دعوة الله تعالى، ومن فوائد الأمل الصبر وتجربة الابتلاء الذي رسمه الله تعالى على قلوب الأحياء لحكمة يعلمها علام الغيوب. فهو الذي يبتلي ويعين على الصبر على البلاء ويجزي على كله خير الجزاء فيا رب ما أكرمك، وما أحلمك، وما أعظمك وهو نفسه تقدس في علاه في معية الصابرين قال تعالى: ﴿وَأَطِيعُواْ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلاَ تَنَازَعُواْ فَتَفْشَلُواْ وَتَذْهَبَ رِيحُكُمْ وَاصْبِرُواْ إِنَّ اللَّهَ مَعَ الصَّابِرِينَ (٤٦)﴾ الأنفال.

(١) مسند أحمد، ج٣٦، ص٥٤٥

الخاتمة:

مفهوم التنمية البشرية في الإسلام مفهومٌ باحث في سبل تطوير الذات البشرية استنادا لأسس العلم والمعرفة، لتحقيق أسمى غايات التنمية وأهدافها والمتمثلة في:

- نشر الفضيلة وتطبيقاتها، على واقع المعاملات الاجتماعية والاقتصادية والسياسية، والمبنية على مفهوم العدل والتراحم والإخاء والمودة. وهذه هي مكارم الأخلاق قولا وعملا.

- الوقوف على وقائع المنهج التطبيقي في مسائل التنمية البشرية من خلال السنة التي تَجَسَّدَت في دولة الرسول الله صلى الله عليه وسلم، التي اعتنت أولا بتنمية الفكر، وربطه بغاية الخلق المتمثلة في عبادة الله تعالى، مما يقوي محفزات النهوض وإسعاد البشرية بنور الإسلام، قال تعالى: ﴿**وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلا رَحْمَةً لِلْعَالَمِينَ(١٠٧)**﴾ الأنبياء.

- أوجد الحديث الشريف قواعد تأصيلية في بناء تنمية البشر ساهمت في قضايا النهوض والتمدن ومن أهمها: التعليم والمعرفة، التخصصية، الولاء، المثابرة، الأخوة، التسامح، والغيرة،....الخ.

- بيان أوجه تكامل التنمية البشرية من منظور إسلامي، روحيا وبدنيا، مستمدة من فطرية الإنسان. هادفة لتحقيق السعادة والرفاهية. والاستفادة من التجارب في التنمية البشرية التي قطعت شوطا ملموسا في سبيل تنمية البشر فالحرية وتوفير أساسيات الحياة من تعليم وصحة...

- أضحت ثوابت غربية، بينما واقع الأمة من التنمية البشرية أضحى بائسا، دل على قصر فكر منسوبيها واستحضار أسس الجاهلية البغيضة، التي لوثت أفكار الأمم والشعوب المسلمة وأخذ كل مِنَّا فيها بنصيب قل أو كثر. مع التذكير بسنة الله تعالى قال الله تعالى: ﴿**وَإِنْ تَتَوَلَّوْا يَسْتَبْدِلْ قَوْمًا غَيْرَكُمْ ثُمَّ لا يَكُونُوا أَمْثَالَكُمْ(٣٨)**﴾ محمد.

إن واقع الأمة الضعيف أشبه بواقع التيه الذي عاشه اليهود أربعين سنة، لما أضاعوا من هدي السبيل الذي رسمه لهم الخالق عزَّ وجل، وهذا الوهن والضعف في واقع المسلمين تيه فكري أذاق الأمة زيلية التخلف والتبعية في جميع مناحي الحياة، ولن تصلح حال الأمة بغير هديها المستمد من نور الإسلام وخصائصه التي تعني الوسطية والشمول، والهيمنة، والخلود والعالمية، وهذا ما يمثل أبعاد الطرح الإسلامي في يناء وتعميق روح الجماعة، بتعميق معاني التفاني والتضحية في سبيل سياسة الناس. وهذا بدوره في حاجة لبناء أخوة بين المسلمين وتوجيه مشاعرهم واهتماماتهم بما يفيد وحدة الأمة وإبراز قواعد الإسلام كنموذج في هداية البشرية. ويتأطر كل ذلك بتبني الدستور الإسلامي في سياسة الناس وفق أسس المواطنة والإصلاح الاجتماعي.

إن الأمة الإسلامية في حاجة للتنمية البشرية للنهوض بأمانة التكليف، وتَحَمُّلُ الرسالة وتبليغها والصبر على المشقة والأذى فيها. وتربية أفراد المسلمين على القيم الإسلامية في التعريف بدين الله تعالى واحترام حقوق الأقليات غير المسلمة والإحسان إليهم وتقديم نموذج إسلامي رفيع تتحلى فيه العقلية المتقدة والعاطفة الجياشة.

المراجع

- ابن الأثير، أبو السعادات المبارك بن محمد الجزري، **النهاية في غريب الحديث والأثر**، تحقيق : طاهر أحمد الزاوى – محمود محمد الطناحي (بيروت: المكتبة العلمية، ١٣٩٩ه – ١٩٧٩م)
- أحمد كمال أبو مجد، **رؤية إسلامية معاصرة**: إعلان مبادئ، (القاهرة: دار الشروق، ١٤١٢هـ/ ١٩٩١م).
- ابن حنبل، أحمد بن حنبل أبو عبد الله الشيباني، **مسند الإمام أحمد** (القاهرة: مؤسسة قرطبة، د.ت) الأحاديث مذيلة بأحكام شعيب الأرنؤوط.
- الإمام مسلم، مسلم بن الحجاج أبو الحسين القشيري النيسابوري، **صحيح مسلم**، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، (بيروت: دار إحياء التراث العربي، د.ت).
- البخاري، محمد بن إسماعيل، **صحيح البخاري**، تحقيق: د. مصطفى ديب البغا أستاذ الحديث وعلومه في كلية الشريعة – جامعة دمشق (بيروت: دار ابن كثير، اليمامة، ط٣، ١٤٠٧ – ١٩٨٧)
- البخاري، محمد بن إسماعيل أبو عبد الله، **الأدب المفرد**، تحقيق : محمد فؤاد عبدالباقي، (بيروت: دار البشائر الإسلامية، ط٣، ١٤٠٩هـ/ ١٩٨٩م).
- البيهقي، أحمد بن الحسين بن علي، **السنن الكبرى**، **تحقيق: محمد عبد القادر عطا** (لبنان: بيروت: دار الكتب العلمية، ط٣، ١٤٢٤هـ-٢٠٠٣م)
- الترمذي: محمد بن عيسى أبو عيسى، **الجامع الصحيح سنن الترمذي**، تحقيق: أحمد محمد شاكر وآخرون (دار إحياء التراث العربي، د.ت) .

- ابن تيمية: أحمد بن عبد الحليم الحراني، **منهاج السنة النبوية**، تحقيق: د. محمد رشاد سالم (مؤسسة قرطبة، ط١، ١٤٠٦هـ).
- ابن تيمية، أحمد بن عبد الحليم بن تيمية، **اقتضاء الصراط المستقيم مخالفة أصحاب الجحيم**، تحقيق: محمد حامد الفقي (القاهرة: مطبعة السنة المحمدية، ط٢، ١٣٦٩هـ)
- أبو حاتم، محمد بن حبان بن أحمد، **صحيح ابن حبان بترتيب ابن بلبان**، تحقيق: شعيب الأرنؤوط (بيروت: مؤسسة الرسالة، ط٢، ١٤١٤- ١٩٩٣م).
- ابن حجر العسقلاني، أحمد بن علي بن حجر أبو الفضل، **الإصابة في تمييز الصحابة**، تحقيق: علي محمد البجاوي (بيروت: دار الجيل، ط١، ١٤١٢).
- أبي الحسين أحمد بن فارِس بن زكَرِيّا، **مقاييس اللغة**، تحقيق: عبد السَّلام محمد هَارُون (اتحاد الكتاب العرب: ١٤٢٣ هـ- ٢٠٠٢م).
- أبو داود، سليمان بن الأشعث السجستاني الأزدي ، **سنن أبي داود**، تحقيق: محمد محيي الدين عبد الحميد، تعليقات كَمَال يوسُفٌ الحوُت (دار الفكر، د.ت).
- الزبيدي، محمّد بن محمّد بن عبد الرزّاق الحسيني، **تاج العروس من جواهر القاموس**، تحقيق مجموعة من المحققين (الناشر دار الهداية
- سيد قطب إبراهيم، **في ظلال القرآن** (القاهرة: دار الشروق، ط٣٢، ٢٠٠٣م)
- شحرور، د.محمد، **دراسات إسلامية معاصرة في الدولة والمجتمع** (دمشق: الأهالي للطباعة والنشر والتوزيع، ١٩٩٤م، ط١).
- شيكوني، أنجلو: **أفلاطون والفضيلة**، ترجمة:د. منير سغبيني، (بيروت: دار الجيل، ١٩٨٦م).
- الطبراني، سليمان بن أحمد بن أيوب أبو القاسم، **المعجم الكبير**، تحقيق: حمدي بن عبد المجيد السلفي، (الموصل: مكتبة العلوم والحكم، ١٤٠٤ – ١٩٨٣م).

- ابن عبد البر: يوسف بن عبد الله النمري أبو عمر، **التمهيد لما في الموطأ من المعاني والأسانيد**، تحقيق : مصطفىٰ بن أحمد العلوي، محمد عبد الكبير البكر (المغرب: وزارة عموم الأوقاف والشؤون الإسلامية – المغرب ، ١٣٨٧هـ) .
- عمر عبيد حسنة، في تقديمه لكتاب: **روح الحضارة الإسلامية**، للشيخ محمد الفاضل بن عاشور، (الولايات المتحدة: المعهد العالمي للفكر الإسلامي، ط٢، ١٤١٣هـ/ ١٩٩٢م).
- الغزالي، محمد: **تراثنا الفكري في ميزان الشرع والعقل** (المعهد العالمي للفكر الإسلامي، القاهرة، دار الشروق، ط١، ١٩٩١م).
- أبو الفرج، عبد الرحمن بن علي بن محمد: **صفوة الصفوة، تحقيق** : محمد فاخوري، ود. محمد رواس قلعه جي (بيروت: دار المعرفة، ط٢، ١٩٧٩م)
- أبي القاسم علي بن جعفر السعدي، **كتاب الأفعال** (بيروت: عالم الكتب، ط١، ١٩٨٣م)
- القضاعي، محمد بن سلامة بن جعفر أبو عبد الله، **مسند الشهاب**، تحقيق: حمدي بن عبد المجيد السلفي (بيروت: مؤسسة الرسالة، ط٢، ١٤٠٧-١٩٨٦).
- ابن القيم، محمد بن أبي بكر أيوب الزرعي، **مفتاح دار السعادة ومنشور ولاية العلم والإرادة** (بيروت: دار الكتب العلمية، د.ت)
- ابن القيم، محمد بن أبي بكر أيوب الزرعي، **مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين**، تحقيق : محمد حامد الفقي (بيروت: دار الكتاب العربي، ط٢، ١٣٩٣ – ١٩٧٣م)
- ابن القيم، محمد بن أبي بكر أبو عبد الله، **هداية الحيارى في أجوبة اليهود والنصارى** (المدينة المنورة: الجامعة الإسلامية، د.ت).

- **موطأ الإمام مالك**، تحقيق: د. تقي الدين الندوي أستاذ الحديث الشريف بجامعة الإمارات العربية المتحدة (دمشق: دار القلم، ط١، ١٤١٣هـ - ١٩٩١م)
- محمد بن أبي بكر بن عبد القادر الرازي، **مختار الصحاح**، تحقيق: محمود خاطر (بيروت: الطبعة طبعة جديدة، ١٤١٥ – ١٩٩٥م).
- محمد الزحيلي، **النظريات الفقهية**، (بيروت: دار القلم، ط1، 1414هـ/1993م).
- http://www.hrdiscussion.com/hr16886.html، مقال بعنوان: ظهور مصطلح التنمية البشرية، للكاتب: Ahmed Shaheen، بيوم: 30/٠٨/ ٢٠١٠. أخذ هذا المقطع بتاريخ، ٢٩/ ٧/ ٢٠١٦.
- ابن منظور، محمد بن مكرم الأفريقي المصري، **لسان العرب** (بيروت: دار صادر، ط١، د.ت).
- الهيثمي، نور الدين علي بن أبي بكر، **مجمع الزوائد ومنبع الفوائد** (بيروت: دار الفكر، ١٤١٢ه)
- الوقفي، إبراهيم أحمد، **السماحة في الإسلام والمسيحية** (القاهرة: دار الفكر العربي، د.ت).
- المناوي، محمد عبد الرؤوف، **التوقيف على مهمات التعاريف**، تحقيق: محمد رضوان الداية (بيروت، دمشق: دار الفكر المعاصر، دار الفكر، ط١، ١٤١٠هـ)
- ابن ماجه، محمد بن يزيد أبو عبد الله القزويني، **سنن ابن ماجه**، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي (بيروت: دار الفكر، د.ت).
- الزركشي، محمد بن بهادر، **البرهان في علوم القرآن**، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم (بيروت: دار المعرفة، ١٣٩١).